أشهر القصص اللصوصية

أرسين لوبين

6



ذو الوجهين

موريس لبلان

مكتبة معروف

أشهر القصص اللصوصية

أرسين لوبين

ذو الوجهين

ترجمة

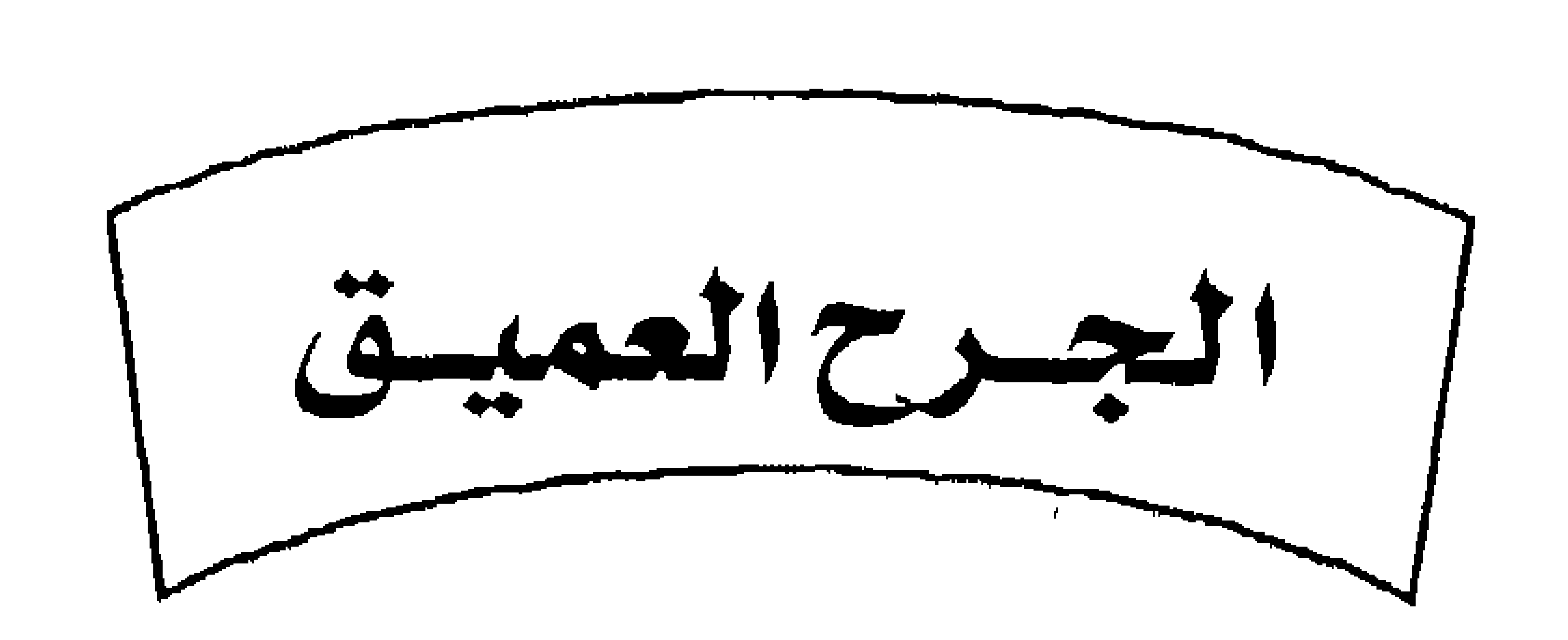
محمد عبد المنعم جلال



مكتبة معروف

مكتبة معروف

الإسكندرية ـ ٤٨١٠٨٢٨ / ٤٨٤٦٤١٠ فاكس ـ ٤٨٦٠٠٨٩ القاهرة ـ ٠٢٢ ٤٠٣٧٧٩٢
ص . ب ٣٧٠ الإسكندرية
E- mail : maarouf 2004 @ hotmail . com



حدثت المأساة المفجعة فى ظروف هادئة ما كان يتوقعها أحد فأحدثت ضجة كبرى وأثارت دهشة الجميع ، ولم يجدوا لها تعليلاً على الرغم من الأبحاث الطويلة التى قاموا بها .

وقد حدثت هذه المأساة بصورة طبيعية جداً ، فلا شئ من تلك التهديدات الغريبة التى يضاعفها القدر أحياناً عند الاقتراب من بعض الأحداث الخطيرة ، ولا أى بادرة لعاصفة ما أو وقوع أى إزعاج أو اضطراب أو حتى قلق بين الذين شاهدوا ذلك الحدث التافه المأساوى الذى زاده غموض السر الذى يحيط به غموضاً ..

ذلك أن مسيو ومدام دى جوفيل شاهدا وسمعا فى حفلة أقيمت فى فيشى المغنية الحسناء الذائعة الصيت اليزابيث هورنان ، مطلقة المالى الكبير المسيو هورنان فأعجبا بصوتها الموسيقى ودعواها إلى قصرهما فى اليوم التالى هى وبعض الأصدقاء .

وقد كان الغذاء ممتعاً ، توفرت فيه كل وسائل البهجة والسرور ، وتسامر المدعوون أثناءه وتبادلوا شتى الأحاديث .. وكان بين المدعوين ثلاثة رجال وزوجاتهم وجنرال متقاعد يدعى المركيز جان ديرلمون ، فى الأربعين من عمره وهو رجل ذو جاذبية خاصة .

ولكن إعجاب المدعوين والمضيفين كان مركزاً على المغنية اليزابيث هورنان ، فكانت أحاديثهم كلها تدور حول الثناء عليها .. والحق أنها

كانت جميلة ، فتانة الطلعة ، بشوشة الوجه ، باسمة الثغر ، تتألق بشرتها بذلك الجمال الباهر .. وكانت مع كل هذه الصفات تمتاز بحبها للصمت وعزوفها عن الكلام .

ومع أن ثوبها كان بسيطاً إلا أنه كان يدل على ذوق سليم .. وكانت تحلى جيدها وصدرها بعقود نفيسة يتلألأ بريقها فى ضوء النهار ، وكلما تحدث إليها أحد بخصوصها كانت ترد عليه قائلة :

- إنها جواهر مزيفة ، وانني أعترف بأنها متقنة التقليد ، بحيث أن كل من يراها يحسبها حقيقية .

وبعد أن فرغوا من الطعام ، انتحى المركيز ديرلمون بالمغنية الحسناء ناحية وتبادل معها حديثاً خافتاً .

وشاهدت ربة القصر عمله هذا فضحكت وتحولت إلى مدعويها قائلة :

- إن هذا المسكين يضيع وقته ، فإننى أعرف اليزابيث منذ

سنوات ، وليس هناك أى أمل فى أن تحبه .. فهى ميتة العاطفة ، ميتة القلب .

كانوا جالسين فى الشرفة الكبيرة فى ظل القصر ، وكانت الحديقة ممتدة أمامهم بممراتها الخضراء وروابيها المرتفعة .. وكان فى نهاية الحديقة الواسعة الأرجاء بقايا خرائب القصر القديم وأبراج الكنيسة المهجورة .

كان المكان جميلاً والمنظر ساحراً خلاباً ، يحيط بالقصر والحديقة خندق عميق يبلغ عمقه نحو خمسين متراً يتوسطه نهير صغير .

قالت اليزابيث : ياله من مكان جميل ، ما أجمل أن يغنى المرء فى مثل هذا المكان .

فقالت مدام دى جوفيل : ومن يمنعك من الغناء يا اليزابيث ؟

ـ ذلك أن الصوت يضيع فى هذا المكان الفسيح .

اعترض جان ديرلمون قائلاً : ولكن صوتك ليس كباقى الأصوات يا اليزابيث .. غنى لنا .. غنى إحدى أغانيك المشهورة .

ضحكت اليزابيث ، وحاولت أن تعتذر ، ولكن المدعوين التفوا حولها وحملوها على أن تقبل .. ولكنها ، مع ذلك ، ترددت وقالت :

ـ كلا .. كلا .. هذه حماقة .. ليتنى ما تكلمت .

غير أن ترددها سرعان ما تبخر أمام إصرار المركيز ديرلمون فقالت :

ـ حسناً .. تعال معى حتى الخرائب .

سارت اليزابيث فى بطء ومهل ، ومشت مشيتها المتزنة الساحرة التى عرفت بها على المسرح ، واجتازت الحديقة ، ثم صعدت خمس درجات ألقت نفسها بعدها فى شرفة القصر الخرب ، ثم انعطفت إلى منحنى على اليسار ، هى والمركيز ، واختفت وراء أغصان الأشجار ، وبعد هنيهة رآها المدعوون تصعد درجات أخرى بينما رأوا جان ديرلمون فى طريقه إلى العودة ، وأخيراً ظهرت أمامهم ، فى مكان عال ، بين أعمدة الكنيسة الضخمة .

وقفت اليزابيث ومدت يديها إلى الأمام ، وارتفع صوتها بالغناء فكان كأنه موسيقى عذبة الوقع ، والألحان صادرة من حورية من حوريات الجنة .. وكانت المسافة كبيرة بين المغنية الشابة وبين المدعوين الذين التزموا الهدوء والسكون وهم يستمعون إلى صوت اليزابيث الملائكى .

وفجأة ، وقعت الكارثة وحم القضاء فترنحت اليزابيث وتمايلت مع

الهواء ، ثم هوت إلى الأرض مرة واحدة دون أن تنبعث منها صرخة ودون أن تصدر منها أية حركة تدل على الخوف ، فأسرع إليها المدعوون ، ورب القصر وزوجته .. ولكنهم لما وصلوا إليها ألفوها جثة هامدة ، لاروح فيها ولا حراك .. وحسبوا فى بداية الأمر أنها ماتت بالسكتة القلبية ، ولكنهم سرعان ما أبعدوا هذه الفكرة عن رؤوسهم حين رأوا الدماء تسيل فوق عنقها وكتفها العارى الجميل .

وأغرب ما فى الأمر أنهم ما كادوا يفيقون من الدهشة التى استولت عليهم عندما رأوا الدماء تسيل فوق عنقها حتى تملكتهم دهشة أخرى أكبر وأعظم من الدهشة الأولى .

ذلك أن الجواهر اختفت !

• • •

لم يسفر التحقيق الذى قام به رجال البوليس عن شئ من معميات هذه المسألة ، فقد كانت غامضة ، شديدة الغموض .. ذلك أن جريمة اقترفت وسرقة ارتكبت ، وكان هذا كل شئ .

نعم ، اقترفت جريمة وإن كان القاتل لم يظهر ، وإن كان البوليس لم يعثر على السلاح الذى اقترفت به .. ولكن الجريمة وقعت على كل حال .. وكان الجرح غريباً، وفظيعاً ، فقد كان كبيراً وعميقاً فى أعلى كتفيها ، تحت عنقها ، ويلوح لرائيه أنه جرح أحدثته ضربة بلطة أو مطرقة .. ولكن من الذى أصابها بتلك الضربة ؟

ثم ، أين ذهبت الجواهر .. إذا كان هناك سرقة وجريمة فمن الذى ارتكب السرقة ومن الذى اقترف الجريمة ؟ وما هى المعجزة التى مكنت القاتل من الفرار ؟ إن الخدم كانوا يطلون من نوافذ القصر ويستمعون إلى صوت المغنية الساحر ولكنهم لم يروا شيئاً ، فهل اختفى القاتل فى الغابة أو فى مكان آخر ؟ لقد قاموا ببحث طويل

استـمـر أسـبـوعين ، ولجـأوا أثناءها إلى مـفـتش شـاب من مـفـتـشى البـوليس يدعى جـورجـرية ، أظهـر كـفـاءة كـبـيـرة فى القـضـايا التى اضطلع بهـا ، ولكن على الرغم من ذلك ، فـقـد ذهبت أبـحـاثهم أدراج الرياح ، فحفظ أولو الشأن القضية على كره من جورجريه الذى أقسم ألا يهدأ له بال حتى يكتشف سر هذه الجريمة الغامضة .

أما مسيو ومـدام دى جوفيل فقد غادرا قصـر " فولنيك" بعد أن وقـعت فيـه الكارثة المفـجـعة ، واسـتـقـرت نيـتـها على ألايعودا إليـه ، فعرض القصر للبيع بأثاثه ومحتوياته .

" وتم بيع القـصـر بعد سـتة شـهور من هذه الكارثة .. ولم يعـرف أحد من الذى اشـتراه ، فقد تمت صفقة البيع بواسطة المسيو أوديجا المسجل ، وقد استغنى الشارى الجديد عن جميع الخدم ولم يبق غير جندى قديم أحيل إلى المعاش فأقامه بواباً على البيت هو وزوجته .

وحـاول سكان القرية أن يحـملوه على الكلام .. ولكنه كان يقـابلهم بالصمت التام .. غير أنهم عرفوا بعد ذلك أن رجلاً يأتى فى الليل مرة كل سنة ، فى أوقات مختلفة ، فيبيت ليلة فى القصر ثم يغادره بعد أن يدلهم ظلام الليلة التـاليـة ، ولـم يكن هنـاك شك فى أن ذلك الرجل هو صاحب القصر ، ولكنهم لم يعرفوا لماذا يأتى إلى القصر مرة واحدة كل سنة ، ولا ماذا يفعل بداخله ؟

ومر أحد عشر عاما مات فى نهايتها الجندى ليباردون ، وأشرفت زوجته على البيت وحدها ، وكانت هى الأخرى قليلة الكلام ، فلم يفز أحد منها بطائل .





وقف رجلان فى محطة سان لازار ، فى مكان بعيد عن الزحام .. وكان أحدهما قصير الجسم ، ربعة القوام ، أما الأخر فكان طويلاً هزيلاً .. واقترب الأخير من أحد موظفى المحطة وسأله قائلاً :

- حتى يأتى قطار الساعة الثالثة والدقيقة السابعة والأربعين ؟

أجابه الموظف متهكماً :

- فى الساعة الثالثة والدقيقة السابعة والأربعين !

هز الرجل القصير كتفيه لسخافه زميله .. وكانت الساعة الثالثة والنصف ، فجذبه زميله إلى مكان منعزل وتمتم :

- هذا غريب . إننى لا أرى الرجل الذى سألت مدير الأمن أن يبعثه إلى .. إذا لم يحضر أمر إلقاء القبض فلن نستطيع أن نقبض على السيدة .

فقال الرجل الهزيل :

- من الجائز أنه يبحث عنا الآن .. أو من المحتمل أنه لا يعرفنا .

فصرخ الرجل الضخم فى وجهه قائلاً :

- أيها الغبى .. من المحتمل أنه لايعرفك أنت .. أما أنا ، جورجريه .. المفتش جورجريه الذى أصبح أسمه أشهر من نار على علم بعد مأساة قصر فولنيك ..

قال الهـزيل فى شئ من الاستيـاء : كارثة قصـر فـولنيك ؟ .. هذه مسألة قديمة .. لقد مر عليها خمسة عشر عاماً .

ـ وسرقـة شارع سـان هونوريه ؟ والشرك الذى نصبته لأقبض على بول الكبير ، هل يعود هذا الأمر هو الآخر إلى الحروب الصليبية ؟ إنه لم يمض عليه أكثر من شهرين .

ـ صـحيح أنك ألقيت القبض عليـه ، ولكنـه أفلت منك ولايزال يجرى .. بول الكبير .

ـ ولكن هذا لايمنـع من أننى دبرت أمرى جيداً بحيث أنـهم يلجـأون إلى هذه المرة .. انظر إلى أمر التكليف هذا،الذى يشير إلى بالذات :

وأخرج من حافظته ورقة بسطها وقرأها الأثنان معاً :

٤ يونية

مديرية البوليس

« أمر تكليف عاجل »

"رؤيت عشيقة بول الكبيـر ، المدعوة كلارا الشـقراء فى القطار رقم ٣٨٦ الذى يصـل إلى ليـزيو فـى السـاعـة الثـالثـة والدقـيقـة السـابعـة والأربعين .. أرسلوا فوراً المفتش جورجرية ، سنبعث إليه بأمر القبض فى محطة سان لازار ، قبل وصول القطار .

وأوصاف الآنسة كلارا: خصلات شقراء متموجة، عينان زرقاوان ، العمر ما بين ٢٠و٢٥ سنة .. جميلة ، بسيطة الثياب ولكنها أنيقة ".

ـ أرأيت ؟ إن أسـمى مذكـور فى أمـر التكليـف ، وبما إننى اهـتـمـت دائماً ببول الكبير فقد عهدوا إلى بأمر عشيقته .

ـ هل تعرفها ؟

ـ ليس جـيـداً .. ومع ذلك فـقـد اسـعـفنى الوقت لكـى ألمحـهـا عندمـا

حطمت باب الغرفة واقتحمت المكان الذى يختفى فيه بول الكبير ، ولكن الحظ خاننى فى ذلك اليوم ، فبينما كنت أحاصره هو وثبت هى من النافذة ، وأثناء مطاردتى لها انتهز بول الكبير الفرصة وأسرع بالفرار .

ـ وهل كنت وحدك ؟

ـ كلا .. كنا ثلاثة ، ولكن بول الكبير بدأ بأن صرع الأثنين الآخرين

ـ يبدو أنه رجل شديد المراس .

ـ ومع ذلك فقد حاصرته .

ـ لو أننى كنت مكانك لما تركته يهرب .

ـ لو أنك كنت مكانى ياصاحبى لكان قد صرعك أنت الآخر، خاصة وأنك مشهور بالغباء .

كانت هذه حجة دامغة من شفتى المفتش العام جورجرية ، فبالنسبة له ، كل مرؤوسيه أغبياء ، وهو المعصوم وله الكلمة الأخيرة فى المعارك التى تنشب بينه وبين المجرمين .

وبدا أن فلامان قد سلم برأى زميله فإنه قال : إنك كنت محظوظاً على كل حال .. مأساة فولينك فى البداية ، واليوم قضيتك مع بول الكبير وكلارا .

ـ هل تعرف ما الذى ينقصك ؟

ـ ماذا ؟

ـ القبض على أرسين لوبين .

ـ إنه أفلت منى مرتين ، ولكنه لن يفلت فى المرة القادمة ، وعن مأساة فولنيك فمازلت مهتماً بها إهتمامى ببول الكبير .. أما كلارا .

وأمسك بذراع زميله وقال : انتبه .. هاهو القطار .

وأدار جورجريه البصر حوله فلم ير أحداً قادماً إليه فقال متذمراً : ما هذا النحس .

وأقبل القطار فى بطء ، ثم توقف وانفتحت جميع الأبواب .. وبدأ الركاب يهبطون ، وكانوا قلة .. وتقدموا نحو باب الخروج .. ووقف جورجرية وفلامان كل من ناحية .. ولم تلبث المرأة الشقراء أن ظهرت .. كانت هى كلارا الشقراء دون أى شك .. ومرت من خلال الباب فى هدوء فى حين زمجر جورجريه قائلاً : يا للحظ السيئ ، لو أن أمر القبض معى !

واستوقف جورجريه سيارة أجرة بدوره .. ولكن اقترب منه فى نفس اللحظة رسول إدارة البوليس فقال : آه .. أهذا أنت يارينو ؟ أمعك أمر القبض ؟

قال الشرطى : نعم ، ها هو !

وزوده ببعض المعلومات الإضافية ، كلفته بها إدارة البوليس ، وعندما غادره ، رأى أن سيارة الأجرة قد انصرفت والسيارة التى ركبتها كلارا تنعطف إلى شارع جانبى .. وأضاع ثلاث أو أربع دقائق فى البحث عن سيارة أجرة أخرى وهو يعزى نفسه قائلاً :

ـ لا أهمية فإننى أعرف العنوان .

وكان هناك رجل متوسط العمر ضامر الوجه ومشعر ، يراقب جورجريه وزميله وهما ينتظران القطار .. واقترب من سيارة الأجرة التى استوقفها مفتش البوليس وسمع العنوان الذى ذكره للسائق ، وقفز بدوره إلى سيارة أجرة هو الآخر وقال للسائق : امض بى إلى رقم ٦٣ برصيف فولتير .



ورقم ٦٣ برصيف فولتير منزل خاص يشرف على نهر السين بواجهته الرمادية ونوافذه المرتفعة ، ويشغل الطابق الأرضى كله تقريباً تاجر تحف وعاديات ، وثلاثة أرباع الطابق المنخفض الذى فوقه تاجر كتب .

أما الطابق الأول والثانى فهما مسكن ضخم وفسيح للمركيز ديرلمون ، وأسرته تملك هذا البيت منذ أكثر من قرن .. وكان موسراً فيما سبق .. أما الآن فهو يعانى من شئ من الضنك نتيجة لبعض المضاربات ، وقد اضطر إلى تقليل نفقاته والاستغناء عن بعض خدمه .

وهذا هو السبب فى أنه احتجز من الطابق المنخفض مسكناً خاصاً من أربع غرف يؤجره سكرتيره لمن يدفع له رشوة أكبر .. وفى ذلك الوقت ، ومنذ نحو شهر كان المستأجر يدعى راوول ، لاينام فيه إلا نادراً ، ولايأتى إليه إلاساعة أو ساعتين بعد الظهر .

كان ذلك المستأجر يقيم فوق غرفة البوابة وتحت الغرف التى يقيم فيها سكرتير المركيز .. والمسكن عبارة عن دهليز مظلم يؤدى إلى الصالون ، وعلى يمينه غرفة وإلى اليسار دورة المياه .

كان الصالون شاغراً بعد ظهر ذلك اليوم فلم يكن به إلا بعض قطع الأثاث العادى ، ليس فيها أى ذوق ، وإنما مجرد مأوى لقضاء الوقت

اللازم فـحـسب ، وبين النافذتين المطلتين على نهـر السين مـقـعـد ذو مسند مرتفع ومنجد ، يعطى ظهره للباب .

دقت ساعة الحائط تعلن الرابعة ، ومرت دقيقتان ثم سمعت من السقف ثلاث دقات على فترات متقطعة كتلك التى يسمعها المرء فى المسرح إيذانا برفع الستار ، ثم ارتفع صليل تليفون ، فامتدت يد من المقعد المرتفع وتناولت السماعة وقال صوت:

- أهذا أنت يا كـورفـيل .. نعم ، أنا راوول .. ألايمكن أن تتـركنى أنام لحظة .. ما أغبانى إذا أوصلت مكتبك بمكتبى .

وأعاد السماعة مكانها لكى يخلد إلى النوم من جديد، ولكن الدقات الثلاث لم تلبث أن دوت من جديد ، وتبعها صليل التليفون ، فأمسك راوول بالسـمـاعة ودار بينه وبين كورفيل ، سكرتير المركيـز ديرلون حديث طويل سأله راوول فى نهايته :

- وهل المركيز فى غرفته ؟

- نعم .. لقد غادره المسيو فالتكس لتوه الآن .

- فالتكس ! .. فالتكس .. آه .. يسوؤنى أن هذا الرجل البـغـيض يسعى إلى نفس الغاية التى نسعى إليها ، ويسوؤنى أكثر أنه يعرف ما هى هذه الغاية فى حين أننا لانعرفها .

وأعاد السـمـاعـة مكانهـا، والظاهر أن الحـديث الطويل الذى دار بينهما طرد النوم من عينيه، فقد أشعل سيجارة .. وفجأة سمع صوت جرس الباب الخارجى للطابق الذى يقيم فيه ، فنظر إلى مرآة صغيرة ذات جهاز خاص فى أعلا باب الصالون ، فرأى فتاة واقفة ، فصاح يقول فى دهشة :

- ما أجملها .. ولكننى لا أعرفها ونهض واقفاً وضغط على زر فى

الحائط فاختفت صورة الفتاة من المرآة ، ثم اجتاز الردهة ، وفتح الباب ، فرأى الفتاة واقفة وفى يدها مظروف ، وعند قدميها حقيبة فسألها قائلاً :

- هل تريدين شيئاً يا آنسة ؟

قالت : هل يقيم المركيز ديلرمون هنا ؟

أدرك راوول فى الحال أن الفتاة أخطأت فحسبت أن المركيز ديلرمون يقيم فى هذا الطابق .. وكانت الفتاة قد تقدمت خطوتين إلى الداخل ، فأمسك بالشنطة وقال :

- أنا هو يا آنسة .

فوقفت الفتاة فى الحال ونظرت إليه فى دهشة وقالت :

- ولكن .. لقد قيل لى إنه متقدم فى السن .

فقال راوول : أنا ابنه .

- ولكن ليس له أبناء .

- هذا صحيح .. أنا لست ابنه إذن .. ولكن ليس لهذا الأمر أهمية على كل حال . إن علاقتى بالمركيز ديرلمون حسنة ، وإن كنت لا أعرفه.

وأدخلها برفق ، وأغلق الباب فاحتجت قائلة :

- يجب أن أذهب .. إننى أخطأت .

- نعم ، ولكن استردى أنفاسك أولاً ، فإن السلم عال .

وكان يتكلم بمرح وابتهاج .. فلم يسعها إلا أن تبتسم وهى تحاول الخروج .

وفى هذه اللحظة دق جرس الباب ، وانطبع وجه ضخم فى المرآة ما كاد راوول يراه حتى قال :

ـ صه ! .. البوليس ! ماذا جاء يفعل هنا ؟

بيد أن الفتاة لم تعبأ بقوله وقالت : أرجو أن تدعنى ياسيدى .

ـ ولكن البوليس .. إن هذا الرجل هو جورجريه .. لايجب أن يراك ، بل لن يراك .

ـ إننى لا أخشاه ياسيدى .. أريد أن أذهب .

ـ كلا يا آنسة .. لا أريده أن يراك .. ادخلى غرفتى.. كلا ، ولكن .. وضحك فجأة، كأنما أدرك السبب الذى يمنع الفتاة من دخول غرفته ، ومد إليها يده قائلاً :

ـ إذن اجلسى هنا ولاتتحركى.. إن هذا المكان مظلم ولن يراك أحد

أطاعته الفتاة مرغمة إزاء لهجته التى كان يشوبها الابتهاج ، فلما جلست رقص راوول مسروراً ، وأسرع إلى الباب ففتحه ، ودخل المفتش جورجريه ، وقال فى صوت خشن :

(لقد دخلت هنا سيدة .. وقد رأتها البوابة ..)

حال راوول بينه وبين التقدم وقال : هل لى أن أعلم من أنت أولاً ؟

ـ أنا المفتش جورجريه .

ـ المفتش جورجريه .. المفتش جورجريه العظيم الذى أوشك أن يقبض على أرسين لوبين !

صاح المفتش فى غضب : والذى يأمل أن يقبض عليه قريباً .. ولكن الأمر يتعلق بمسألة أخرى اليوم .. لقد دخلت هنا سيدة ، وقد رأتها البوابة .

فقال راوول : ولكنها خرجت ثانية .. خرجت منذ ثلاث دقائق تقريباً .. لقد سألتنى هل أنا المسيو فروسان المقيم برقم ٦٣ بشارع فولتير، فقلت لها إنها أخطأت ، وأرشدتها إلى الطريق الموصل إلى شارع

فولتير ، فأسرعت بالخروج .

ارتسمت إمارات الحنق والاستياء على وجه المفتش جورجريه .. وتردد هنيهة ، فتمتم راوول قائلاً :

ـ لماذا تتبعها ؟ يخيل إلى أنها بعيدة عن كل مظنة وسوء .

ـ يخيل إليك ؟ .. إنها مجرمة .. من كبار المجرمين .. هل تعرف من هى ؟ .. إنها عشيقة بول الكبير .

ـ بول الكبير ! .. ذلك اللص المشهور .. والقاتل الذى تتحدث عنه الجرائد .. المجرم الذى أوشكت أن تقبض عليه !

ـ والذى سأقبض عليه هو وعشيقته كلارا الشقراء .

فقال راوول : كلارا الشقراء .. أتلك الفتاة التى تتعقبها هى كلارا الشقراء التى تتحدث عنها الصحف هى الأخرى والتى يبحث عنها البوليس منذ مدة طويلة ؟

ـ نعم .. إذن فقد ذهبت إلى المسيو فروسان المقيم فى رقم ٦٣ بشارع فولتير ؟

ـ نعم .. ولاتنسى أن تهتم أيضاً بالقبض على أرسين لوبين .

ولما خرج جورجريه ، عاد راوول إلى الصالون ، فرأى الفتاة واقفة وقد امتقع وجهها واصفر لونها ، واستولى عليها قلق كبير فسألها قائلاً :

ـ ما الخبر ياآنسة ؟

ـ لاشئ .. لاشئ .

ـ أنت إذن كلارا الشقراء ، عشيقة بول الكبير ؟

ولكنها هزت كتفيها وأجابت : أنا لا أعرف بول الكبير .

- مم تخشين إذن ؟

- لا أخشى شيئاً .. ولكننى لا أدرى لماذا يريدون القبض على .

وابتسمت ابتسامة خفيفة ثم أردفت :

- إننى أتيت من الريف اليوم فقط .. الوداع ياسيدى .

- الوداع ؟ مهلاً .. إن عندى أشياء كثيرة أريد أن أحدثك بها .. ما أجمل ابتسامتك .. وما أجمل شفتيك !

- لا أريد أن أسمع شيئاً ياسيدى .. الوداع .

- كيف هذا .. أأنقذك ثم ..

- هل أنقذتنى ؟

- نعم .. إننى أنقذتك من السجن .. ومن المحاكمة ، ومن المشنقة ، وانتظر أن تكافئينى .. كم ستبقين عند المركيز ديرلون ؟

- قد أبقى نصف ساعة .

- إذن فسأنتظرك لنتناول الشاى هنا كصديقين .

- نتناول الشاى هنا ؟ أوه .. إنك تنتهز فرصة خطأ وقعت فيه .. أرجوك ..

ورفعت إليه عينين حافلتين بالنقاء والصراحة فلم يلح عليها واكتفى بأن قال :

- إن قلبى يحدثنى أن الظروف سوف تجمع بيننا ثانية ، سواء شئت أم لا .. بل إنى واثق أننا سوف نلتقى مراراً بعد هذه المرة .

ووقف على البسطة يشيعها بنظره وهى تصعد السلم .. والتفتت الفتاة إليه وودعته بحركة رشيقة من يدها ثم اختفت .





كان المركيز جان ديرلمون جالساً إلى مكتبه عندما دخل الخادم وأخبره أن فتاة تطلب مقابلته ، فقال له :

ـ إننى آسف ، فليس عندى متسع من الوقت .

فخرج الخادم ولكنه لم يلبث أن عاد وقال : إنها تلح فى مقابلتك ياسيدى المركيز ، وتقول إنها ابنة مدام تيريزا وأنها قادمة من ليزيو وأن معها خطاباً من أمها .

فتردد المركيز واستعاد ذكرياته وهو يقول بصوت خافت : تيريزا .. تيريزا .. ثم تحول إلى الخادم وقال له : دعها تدخل .

وأسرع يرحب بالفتاة وهو يمد إليها يديه قائلاً :

ـ تفضلى يا آنسة .. إننى لم أنس أمك .. يا إلهى ! ما أعظم شبهك بها .. إن ملامحكما تكاد تكون واحدة ، وابتسامتك تشبه ابتسامتها .. أرسلتك أمك إلى إذن ؟

ـ إن أمى ماتت منذ خمس سنوات ياسيدى .. وقد تركت لى رسالة سألتنى أن آتى بها إليك إذا احتجت إلى شئ .

تناول المركيز الرسالة وفضها وقرأ ما يلى :

" إذا كان فى استطاعتك أن تقوم بأى خدمة لأبنتى فافعل .. إنها لاتعرف من ماضى حياتى شيئاً ، ولكنها تعرف أنك كنت صديقاً لى

فأرجوك أن تدعها على ظنها ، فإن انتونين أبية النفس ، ولن تسألك شيئاً إلا طريقة تكسب منها قوت يومها" .

لزم المركيز الصمت هنيهة .. تذكر حادثته اللذيذة مع تيريزا بقرية ليزيو .. كان جان ديرلمون قد أحبها حباً عرضياً ، وقد استسلمت إليه راضية ، واثقة ، مطمئنة، فما قضى منها وطره هجرها ، فهل تألمت .. هل عذبها فراقه ؟ هل كان سبباً فى تحطيم صرح حياتها وسعادتها ؟

إنه لايعلم شيئاً من ذلك ، فهى لم تكتب إليه ، ولم تحاول أن تتصل به .. وقد بلبله هذا الخطاب الذى جاءه منها فجأة فتملكه الانفعال .. واقترب من الفتاة وسألها قائلاً :

- ما عمرك يا أنتونين ؟

- ثلاثة وعشرون عاماً .

خفق قلب المركيز ، فقد كانت التواريخ مرتبطة .. وأراد أن يقطع حبل الصمت فقال:

- لقد كنت صديقاً لأمك ، وصديقاً ..

- صه ياسيدى .. أرجوك أن تدع هذا الموضوع وأن لا تطرقه .

- هل احتفظت أمك بذكرى سيئة لهذا العهد .

- إنها لم تذكر كلمة واحدة عن الماضى .

- حسن ، ولكن .. هل تألمت ؟

أجابت الفتاة فى توكيد : إنها كانت سعيدة ياسيدى .. وقد وفرت لى أيضاً وسائل الراحة والسعادة .. وقد أتيت إليك اليوم لأنى لست على وفاق مع الذين آوونى .

- ستذكرين لى ذلك فيما بعد يابنتى العزيزة .. المهم الآن أن أهتم

بك وبمستقبلك .. ماذا تريدين ؟

- أريد أن لا أكون عالة على أحد .

- أتقبلين أن تكونى سكرتيرة لى ؟

- أليس عندك سكرتيراً ؟

- بلى .. عندى سكرتير ، ولكننى لا أثق به .. فهو يتصنت من خلف الأبواب ويفتش أوراقي .. سأحلك محله .

- لا أريد أن أحل محل أحد .

ضحك المركيز وقال : آه .. ما كنت أحسب أن الأمر صعب إلى هذا الحد .

وجلس ، وأجلسها بجانبه وأخذا يتحدثان .. وكان يتكلم بعطف واهتمام ، فى حين كانت هى تتكلم فى تحفظ وهدوء .. وأخيراً استقر رأيها على أن تتركه يبحث لها عن عمل .. وكان المركيز قد عزم أن يسافر بالسيارة لقضاء عمل فى القصر ثم يقوم برحلة بعد ذلك إلى الخارج ، فيقضى عشرين يوماً ثم يعود ، وقد قبلت الفتاة أن ترافقه في رحلته بالسيارة .

وذكرت له عنوان البنسيون الذى عزمت الإقامة فيه ، واتفق المركيز معها على أن يذهب إليها فى الغد ، ثم قبل يدها .. وبينما كان يفعل هذا مركورفيل بهما ، وقال المركيز :

- إلى الملتقى يا ابنتى .

تناولت الفتاة حقيبتها ونزلت وهى تكاد ترقص وتغنى من فرط سعادتها وابتهاجها غير أن سرورها هذا لم يدم طويلاً ، فما كادت تهبط بضع درجات حتى سمعت صوت المفتش جورجريه يقول :

- إنك هزأت بى ياسيدى .. ليس فى شارع فولتيربيتا برقم ٦٣ ..

ثم سمعت صوت راوول يقول : حقاً ؟

- وفوق ذلك أريد أن أعرف ماذا حدث لورقة ذات أهمية كبرى كانت فى جيبى حين أتيت لأول مرة .

- إذن القبض .. أمر القبض على الآنسة كلارا ؟

صرخت الفتاة فى هذه اللحظة واستولى عليها الارتباك ، فهبطت السلم بدلاً من أن تصعد ، وسمع المفتش صرختها ، فتحول إلى مصدرها ، وما كاد يراها حتى هم بالهجوم .

غير أن راوول أمسكه بيدين من حديد ، وحاول أن يرغمه على الدخول إلى مسكنه .. بيد أن المفتش قاومه وهو واثق من نفسه ولكن ما كان أشد دهشته حين رأى أن راوول قد تغلب عليه وجره إلى الداخل ، فتملكه الغضب وقال :

- دعنى .. دعنى أيها الرجل .

فقال راوول : كلا .. يجب أن تتبعنى .. إن أمر القبض فى الصالون وأريد أن أعطيك إياه .. فقد طلبته .

- ولكن الفتاة ستهرب .

- وأين زميلك ؟ .. ألا يقف فى الخارج ؟

- هذا صحيح .. ولكنه غبى أبله .

وفجأة رأى نفسه فى الردهة ، وألفى الباب مغلقاً فكاد يجن من الغضب ، وهجم على الباب ولكنه كان متيناً جداً فلم يتزعزع .. وظهر راوول أخيراً وقال له :

- أهو أمر القبض ياسيدى المفتش ؟

اختطفه جورجريه منه وهو يغلى من الغضب وقال له :

ـ ستندم على عملك هذا .. لقد كان هذا الأمر فى جيبى عندما أتيت أول مرة .

ولكن راوول قال فى هدوء :

ـ لاريب انه وقع منك .

ـ كذب وافتراء .. أنت لاتنكر على كل حال أن الفتاة كانت على مقربة من هنا حين أرسلتنى إلى هذا الأثر الكاذب .

ـ لقد كانت قريبة جداً .. كانت جالسة على هذا المقعد الذى تراه .

ـ ماذا تقول ؟ .. كانت هنا ؟ ستندم على عملك هذا أيها الشاب .

ضم جورجريه قبضته ولوح بها فى وجه راوول ، ثم أسرع إلى الباب ففتحه .. ووضع قبعته فوق رأسه وخرج وهو يتذمر غضباً .

وبعد خمس دقائق رأى راوول المفتش جورجريه يبتعد هو وزميله الهزيل وأمارات الغيظ والحنق مرتسمة على وجهه ، فاطمأن إلى أن الفتاة الشقراء قد أصبحت بعيدة عن الخطر ، ثم دق على سقف غرفته بعصا طويلة ثلاث دقات .. وفتح الباب بعد هنيهة وأدخل المسيو كورفيل ، سكرتير المركيز ديرلمون ، وأمسكه من كتفه على الفور وسأله :

ـ أرأيت فتاة شقراء مع سيدك ؟

ـ نعم .

ـ وهل أصغيت إلى حديثهما ؟

ـ نعم .

ـ وماذا فهمت منه ؟

ـ لم أفهم شيئاً .

- أيها الغبى .

- لقد تحدثا بصوت خافت جداً فلم أسمع شيئاً .

نظر راوول إلى كورفيل شذراً ، ومضت فترة وهو يفكر ، وأخيراً قال له :

- مسيو كورفيل .. ليس من عادتى أن أعيد الأوامر التى ألقيها مرة ثانية .. إننى أنقذتك أنت وأمك وأباك من مخالب الفقر وألحقتك بعمل .

- إننى لا أنكر ذلك .

- صه وأصغ إلى .. إننى ألحقتك بعمل لم تظهر كفاءة جديرة فى القيام به .. ألحقتك عند المركيز ديرلمون لتدرأ عنه الدسائس التى تحاك ضده ، وطلبت منك أن تفتش أدراجه وأن تصغى إلى أحاديثه ، وأن تخبرنى بكل شئ .. ولكنك لم تعثر على أى شئ ، بل جعلت المركيز يشك فى أمرك .. وفوق ذلك كله فأنت دائماً تختار الأوقات التى أخلد فيها إلى النوم فتقلق راحتى ، وتتصل بى تليفونياً .. ولذلك فقد عزمت الآن أن أقوم أنا نفسى بالعمل .. وقد استقرت نيتى على ذلك لأن فتاة شقراء ألقت بنفسها فى طريقى .. يجب أن أعرف سبب اهتمام فالتكس بالمركيز ديرلمون ، ويجب أن اعرف سر المركيز نفسه ، وكذلك يجب أن أعلم لماذا تدخلت الفتاة الشقراء فى هذه المسألة .

وحدج كورفيل بنظرة قاسية وقال :

- يجب أن أجعلك على بينة من أمرى يا كورفيل .. هل تعرف من أنا ؟

- كلا .

- أنا أرسين لوبين .

لم يضطرب كورفيل ، ولم يرتبك ، واستطرد راوول يقول :

- أعلم إذن إنني اهتممت بمسألة ديرلمون دون أن أعرف منها شيئاً .. كل ما عرفت هو أنني سمعت أن الدمار الذى أصاب المركيز ديرلمون أثار دهشة الناس إلى حد كبير، فقد عاد جده من رحلة قام بها ومعه ملايين من الفرنكات خلفها لابنته ، أى والدة المركيز الحالى، فأين ذهبت هذه الملايين .. لقد ظن الناس أن جان ديرلمون بعثرها وبددها ولكن شاء الحظ أن يكذب الناس فقد وقع فى يدى خطاب ممزق تدل الكلمات التى فيه على أنه خطاب حديث العهد كتبه المركيز بيده وفيه هذه الكلمات :

" يظهر أن المهمة التى كلفتكم بها ستظل مستغلقة ولن تسفر عن شئ وأن الميراث الذى خلفه جدى سيظل مدفوناً ، ولذلك فإننى أعيد على ذاكرتكم الشرطين الأساسيين اللذين اشترطتهما عليكم وهما كتمان الأمر ومنحى عشرة فى المائة من الميراث مكافأة لكما مع العلم بأن هذه المكافأة لن تقل عن مليون فرنك .. وإننى أرجو أن يتكلل مسعاكم بالنجاح " .

وعاد راوول إلى حديثه فقال :

- لم أجد على هذه الورقة تاريخاً أو عنواناً .. وقد خطر لى أن أساعد المركيز فى أبحاثه فألحقتك بخدمته .

قال كورفيل فى شئ من الخجل :

- ألاتظن أنه كان يجدر بك أن تتحدث مع المركيز بنفسك مادمت قد عزمت على مساعدته وأن تقول له إنه إذا منحك عشرة فى المائة .

رماه راوول بنظرة صاعقة أوقفت الكلمات فى حلقه ، وقال :

- أيها الغبى .. إن مجرد منح المركيز عشرة فى المائة معناه أن

الميراث تبلغ قيمته عشرون أو ثلاثون مليوناً .. وسأعمل على الاستيلاء على المبلغ كله .

- ولكن .. مساعدتك للمركيز .

- إننى سأمنحه عشرة فى المائة من الميراث ، وهذا مبلغ لايحلم بالحصول عليه .

ولكن يجب أن أهتم أنا نفسى بهذه المسألة .. متى يمكنك أن تدخلنى غرفة المركيز ؟

تردد كورفيل وقال : ألاتظن ياسيدى أننى بعملى هذا ..

- تخون المركيز ؟ نعم .. ولكن ماذا تريد ؟ إن الأقدار أوقعتك فى مخالب أرسين لوبين .

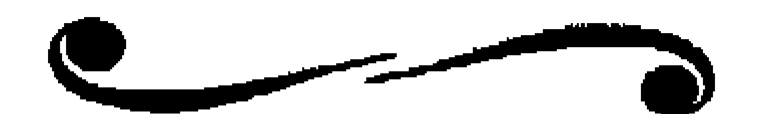
فأغمض كورفيل عينيه وقال أن المركيز سيتعشى الليلة فى المدينة ، وأنه لن يعود قبل الساعة الواحدة صباحاً .

- والخدم ؟

- إنهم يقيمون فى الطابق العلوى .

- أعطنى مفتاحك..

تردد كورفيل مرة أخرى ، ولكن راوول مد يده فلم يسعه إلا أن يعطيه المفتاح .





خرج راوول من غرفته فى الساعة الحادية عشرة والربع مساء ، وصعد إلى غرفة المركيز ديرلمون فى هدوء تام ، ودخل وأدار مفتاح النور كما لو أنه فى بيته هو ، وأخذ يدور ببصره حوله فى اهتمام كبير .

وبعد عشر دقائق تقدم إلى المكتب وفحص أدراجه ، وتحسس جوانبه بيده ، فعثر على لولب ضغط عليه فظهر درج سرى سحبه إليه فى الحال وراح يفحص محتوياته .. كان يبحث عن الخطاب الذى جاءت به الفتاة الشقراء للمركيز ديرلمون .

رأى غلافاً أصفر يحتوى على اثنتى عشرة ورقة من ذات الألف فرنك ، ولم يكن قد أتى ليسرق فلم يعبأ بها .. وقلب محتويات الدرج فرأى بضع مئات الصور الفوتوغرافية لفتت نظره واحدة منها لأنها كانت ملفوفة بعناية فأخذها ونظر إليها .

ارتسمت أمارات الدهشة على ملامح الشاب ، فقد كانت الصورة لامرأة ذات جمال ساحر خلاب ، عارية الكتفين .. وتمتم يقول : لاريب أنها ممثلة .

وحدق فى الصورة فى اهتمام ، وقلبها لعله يجد الاسم على ظهرها وما كاد يفعل حتى اعترته الدهشة فقد رأى توقيع صاحبة الصورة وهو "اليزابيث هورنان" مكتوباً تحت هذه الكلمات : " لك إلى الأبد ".

اليزابيث هورنان ! كان راوول قد سمع بأسم هذه المغنية وعرف الظروف المأساوية التى أحاطت بموتها .. وكان يعلم أنها ماتت نتيجة لجرح غريب أصابها بطريقة غامضة وهى تغنى فى خرائب قصر فولنيك .

إذن فقد كانت اليزابيث هورنان عشيقة للبارون ديرلمون .. وإن عناية هذا الأخير بصورتها تدل على أنها تحل المكانة الأولى من قلبه .

ورأى بجانب الصورة مظروفاً أدرك من محتوياته شيئاً من الحقيقة .. فقد كان فيه خصلة من الشعر وخطاباً قصيراً من اليزابيث تعترف فيه للمركيز ديرلمون بأنها تحبه ، وتحدد له موعداً لمقابلته .. وصورة أخرى مكتوب عليها : اليزابيث فالتكس .

كانت فى هذه الصورة أصغر منها فى الأولى .. وأدرك راوول أن فالتكس هذا لابد أن يكون لقبها قبل أن تتزوج بالمسيو هورنان ، وأن المسيو فالتكس الحالى لاريب أنه قريب لها وأنه يتذرع بهذه القرابة لزيارة المركيز .. وجعل يسائل نفسه عما إذا كان هذا الفالتكس يزور المركيز زيارات بريئة أو إذا كان يزوره سعياً وراء الغاية التى يسعى إليها ؟!

أخذ راوول يفحص الصورة الفوتوغرافية ، وفيما كان يفعل ذلك ، سمع حركة فى الخارج استدل منها على أن أحداً وضع مفتاحاً فى باب الشقة وأداره فى القفل .. وبعد هنيهة سمع الباب يفتح بهدوء وأقداماً تسير فى الردهة الخارجية فى حذر ، ولم تمر خمس ثوان حتى كان قد أعاد الدرج السرى مكانه وأطفأ النور ، واختفى وراء الستار .

وما كاد يفعل حتى سمع الأكرة تدار بخفة والباب يفتح بهدوء ،

وانبعث إلى الداخل نور مصباح كهربائى صغير ، ورأى راوول من خلال شق فى الستار شبحاً يتقدم ، وحدثه قلبه بأن هذا الشبح لامرأة عارية الرأس .. وتأكد من أن هذا الشبح لامرأة حين رأى مشيته .. ووقفت المرأة أمام المكتب ونظرت إليه برهة ثم وضعت المصباح فوقه وجثت على ركبتها وضغطت على اللولب فأدرك راوول أنها كانت تعلم بوجوده ثم سحبت الدرج السرى ولم تعبأ بالأوراق المالية كما فعل هو ، بل أخذت تفحص الصور الفوتوغرافية بسرعة .

وأخيراً عثرت على الصورة التى تبحث عنها فقلبتها .. ولما قرأت الكلمات المكتوبة على ظهرها تنهدت فى ارتياح وابتهاج.. وكان راوول قد انتهز فرصة اهتمامها بأمر الصورة فاقترب من مفتاح النور بهدوء وأداره مرة واحدة ، فصرخت المرأة صرخة تدل على الفزع ، وهمت بالهرب ، إلا أنه وقف بينها وبين الباب ، وما كاد ينظر إليها حتى صاح مشدوهاً :

- انتونين !

وقفت الفتاة التى أسرت لبه تنظر إليه ، وقد ارتسمت على وجهها أمارات الفزع .. وتمتم راوول قائلاً :

- إذن فهذا سبب مجيئك اليوم ! .. إنك أتيت تختبرين المكان .. بدا له أنها لم تفهم قوله وهتفت :

- إننى لم أسرق .. إننى لم ألمس الأوراق المالية .

- وأنا كذلك لم ألمسها .. ومع ذلك فلم نأت هنا لكى نصلى .

فضحك وقال :

- ألاتعرفيننى ! ما أظرف هذا ! أنسيت ما حدث فى مسكنى

يا انتونين .

ـ إننى لا أدعى انتونين .

ـ وأنا الآخـر لا أدعى راوول .. إن من يمتـهن مـهنتنا هـذه ينتـحل عشرات الأسماء .

ـ أية مهنة ؟

ـ اللصوصية .

ـ هتفت : كلا .. كلا .. أنا لست لصة !

ـ حقاً ؟ .. ألم تسرقى الصورة الفوتوغرافية ؟ أرينى الصورة التى دسستها فى جيبك حين أضأت النور .

وحاول أن يأخذ منها الصورة فقاومتـه مقـاومة شديدة فـهتـفت يقول :

ـ آه .. ما كنت أتوقع مثل هذه القوة من عشيقة بول الكبير .

ـ بول الكبير ؟ .. من هو ؟ .. إننى لا أعرفه .

ـ بل تعرفينه يا كلارا .

ـ كلارا ! .. كلارا ! .. من هى كلارا ؟

ـ ألا تذكرين ؟ .. كلارا الشـقراء التى أوشك المفتش جورجريه أن يقبض عليها والتى أنقذتها من مخالبه .

تهالكت الفـتـاة وقد انتابها ضـعف فـجائى ، فـأمسك راوول يديها وقال :

ـ لاتخـافى يا أنتـونين .. نعم ، انتـونين .. إن هذا الاسـم أحب إلى من اسـم كلارا .. لاتبكى .. هل يـعذبك بول الكبـير ؟ لاتخـافى ، فإننى سأدافع عنك .. ولكن ، اذكرى لى قصتك .

- ليس هناك ما أقوله لك .. إننى لا أعرفك .

- أنت لا تعرفيننى ولكنك تثقين بى .

- ربما .. لست أدرى لماذا .. يخيل إلى ..

- يخيل إليك اننى أستطيع أن أدافع عنك ؟ يجب أن تساعدينى أنت لكى أدافع عنك .. كيف عرفت بول الكبير ؟ ولما أخذت هذه الصورة ؟

ولكنها لم تجبه ، وإنما نظرت إليه نظرة كلها رجاء واستعطاف ، فلم يحاول الإصرار واكتفى بأن قال :

- عدينى أن تثقى بى وأن تحاول زيارتى .

- إننى أعدك بذلك .

هل يمكننى أن أسدى لك خدمة ما ؟

أجابت على الفور : نعم .. رافقنى .

- هل تخشين شيئاً ؟

- نعم ، فقد خيل إلى اننى رأيته .. وخيل إلى كذلك اننى رأيت ساعده الأيمن الذى يسمونه العربى .

- وماذا يبغى من مراقبة البيت ؟ هل يراقب المركيز ديرلمون ؟

- لا أدرى .. ولكننى سمعته يقول مرة إنه يحقد على المركيز حقداً عظيماً .

- لماذا ؟

- لا أعرف .

- هل تعرفين شركاءه ؟

- أعرف منهم العربى فقط .

- وأين أستطيع أن أجده ؟

- لا أعرف .. ولكن قد تجده فى بار سمعته يذكر اسمه مرة ، وهو بار "الاكرفيس".

ورأى راوول أنها لن ترد بعد ذلك على أى سؤال فقال :

- هلم بنا .. لاتخافى شيئاً ..

وخرج الاثنان من القصر ، وكان الليل مد لهما والضباب منتشراً ، ومع ذلك فقد رأى راوول شخصان يجتازان الرصيف ويسرعان إلى عربة يقف بجوارها شخصان آخران .. وكان على وشك أن يجذب الفتاة إلى الرصيف المقابل ، ولكنه وجد الفرصة سانحة ، فقد افترق الرجال الأربعة فجأة بطريقة جعلت من الممكن محاصرتهم .

وكان الرصيف قاحلاً فى هذه الساعة ، ونظر الرجال الأربعة حولهم ، ولما لم يروا أحدا اندفع ثلاثة منهم نحو الفتاة يحاولون اختطافها ، فى حين سدد الرابع مسدسه نحو راوول.. غير أن الشاب عاجله بضربة شديدة على يده أوقعت المسدس منها ، ثم صوب إليه لكمه جعلته يتمدد فوق الأرض وقد غاب عن وعيه .

أسرع راوول بعد ذلك إلى الثلاثة الآخرين ، فتحول إليه أحدهم وتأهب لمنازلته ، بيد أن راوول وقف فجأة وركله ركلة شديدة فى وجهه فلما رأى الرجلان الآخران ذلك أسرعا إلى السيارة وانطلقا بها فى جوف الظلام بينما أخذت أنتونين تجرى فى الجهة المضادة يتبعها بول الكبير، ولكن راوول لحق به وأمسكه من عنقه وقال له فى مرح وابتهاج :

- ممنوع المرور ياصاحبى .. دع الفتاة وشأنها .

ثم جره إلى ضوء منبعث من أحد المصابيح لكى يرى وجهه ..

وأدرك بول الكبير غرضه فراح يقاوم ، بيد أن الشاب لم يمكنه من الفرار .. ولما أن وصل إلى الضوء رفع وجه غريمه ، وما كاد يراه حتى بدرت منه صيحة دهشة وهتف يقول :

ـ فالتكس .. فالتكس .. إذن فبول الكبير هو فالتكس ، وفالتكس هو بول الكبير .. كنت أتوقع كل شئ إلا هذا يا صاحبى .

وكانت أنتونين قد اختفت ، فأطلق راوول سراح فالتكس ، فراح هذا الآخر يسب ويشتم وقال وهو يبتعد :

ـ سوف نتقابل يا هذا ، والويل لك عندئذ .

فأجابه راوول بضحكة مرحة تحمل كل معانى الاستخفاف وعدم الاكتراث ولما عاد إلى مسكنه وجد الرجل الذى ركله جالساً على الرصيف يئن ويتأوه .. فنظر إليه لحظة ثم قال له :

ـ اسمع يا صاحبى .. أظن أنك أنت العربى .. أليس كذلك ؟ هل تريد أن تربح ألف فرنك ؟

ـ إذا كان ذلك للغدر ببول الكبير فلن أقبل .

ـ إنك مثال للأمانة والإخلاص يا صاحبى .. كلا .. لا أريد منك أن تخون بول الكبير، ولكننى أريد أن أعرف أين تقيم كلارا الشقراء .

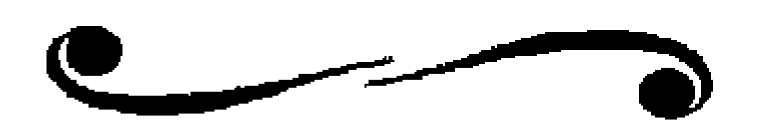
ـ لا أدرى ، ولا بول الكبير هو الآخر يدرى .

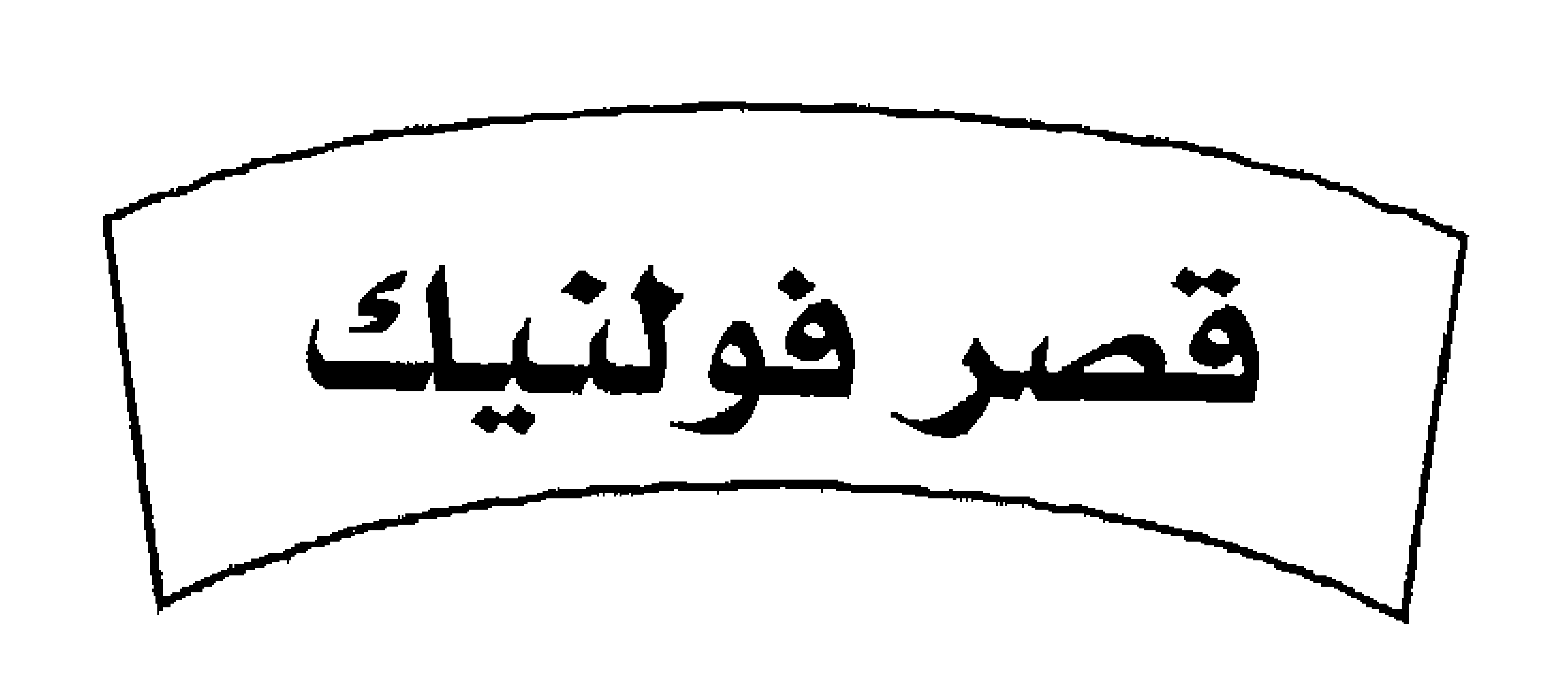
ـ كيف عرفتم إذن إنها أقبلت إلى قصر المركيز ؟

ـ أنا الذى عرفت ذلك .. كنت أتعقب المفتش جورجريه ، وقد رأيته واقفاً فى محطة سان لازار .. وقد سمع جورجريه العنوان الذى أعطته الفتاة للسائق ، وسمعته أنا وهو يذكره لسائق أخر فأسرعت إلى بول الكبير وأخبرته .

ناوله راوول ورقـة مـاليـة بألف فـرنك ثم عـاد إلى مـسكنه .. وهناك أخــذ يفكر فـى الأحــداث التى وقــعـت فى نـهــار ذلك اليــوم ، وراح يســتـعـرض أمـام مـخـيلتـه صــورة الفـتـاة الشـقـراء التى سلبت فـؤاده وخلبت عـقله .. وطفق يســائل نفسه عن السر الذى يحيط بـهـا ، وعن السبب فى ادعـائها تارة أن اسـمها كلارا وتارة أخرى أنها انتونين .. وعجب لابتسـامـتها ، فمـرة تنم عن الصراحـة والصدق ، وأخـرى عن الغموض والحزن .

واستولى عليه النعاس وهذه الأفكار تتوارد فى ذهنه.. ولما استيقظ فى الصـبـاح أخـبـره كورفيل أن المركيـز سافر فى سـاعة مـبكرة فى سيارته وبرفقته الفتاة الشقراء إلى وجهة غير معلومة .





كان قصر فولنيك لايزال محتفظاً برونقه وإن كان قد علقت بجدرانه إعلانات كبيرة مذكورا فيها أن القصر معروض للبيع ، وكانت مدام ليباردون قد أحضرت رجلاً من القرية فهذب العشب ومهد الممرات والطرق وأعاد القصر إلى حالته الأولى .

وفى صباح اليوم الثالث من سفر المركيز ديرلون من باريس فتحت إحدى نوافذ الطابق الأول وأطلت انتونين منها ، فرأت المركيز جالساً على دكة الحديقة فنادته قائلة : أبتاه .. أبتاه ..

ثم عادت إلى الداخل ، ولكنها لم تلبث أن خرجت وأسرعت إلى المركيز فرحب بها قائلاً :

- هل استيقظت ؟ .. إننا لانزال فى الساعة العاشرة .

- إننى نمت كفايتى يا أبتاه .. ألاتزال مصراً على أن أدعوك أبى .. يخيل إلى اننى أعيش فى حلم جميل .. غير اننى كلما فكرت فى إنك ستبيع هذا القصر ..

قاطعها المركيز قائلاً :

- نعم .. لابد من بيعه .. فإننى منذ أن أشتريته لم آت إليه أكثر من عشر مرات ، ولم أبت فيه فى كل مرة غير ليلة واحدة .. وحيث اننى فى حاجة إلى المال ..

فقطعت عليه أنتونين الكلام وارتمت فى أحضانه مواسية ، فتملكه

الانفعال .. وكان قلبه قد تفتح لها فأولاها عطفه وحنانه وهو على ثقة من أنها ابنته من تيريزا .

وتناولا الغذاء الذى أعدته لهما مدام ليبياردون ..

وفى الساعة الثانية جاء المسيو أوديجا ، مسجل العقود ، ابن المسيو اوديجا الذى تمت على يديه صفقة البيع منذ أحد عشر عاماً ، فتركته انتونين يتحدث مع المركيز وخرجت تتمشى فى الحديقة ، وكانت الساعة المحددة لزيارة القصر ومعاينته قد اقتربت ، وما كادت الفتاة تسير بضع خطوات حتى وقفت وتسمرت فى مكانها وبدرت منها صيحة مكتومة ، وارتسمت على وجهها أمارات الخوف والفزع ، فقد رأت أمامها المفتش جورجريه ، وكان قد جاء ليتفرج على القصر وما أن رآها حتى ابتسم ابتسامة الظافر وقال :

- إن الحظ يحالفنى .. الفتاة الشقراء التى فرت منى ثلاث مرات .. أتهمتى أنت أيضاً بهذا القصر ؟ كلا .. لاتحاولى الفرار ، فإننى لن أمكنك منه هذه المرة ياصديقتى الصغيرة .

واقترب منها ، وأخرج من جيبه أمر القبض ثم نظر إليها فأدهشته أن أمارات الخوف والفزع التى كانت مرتسمة على وجهها قد تلاشت وحلت محلها علامات الثقة والاطمئنان ، ورآها تنظر إلى ما وراءه ، فتحول ، وماكاد يفعل حتى كاد يقع على الأرض من فرط الغضب ، فقد رأى يداً ممتدة من وراء المنحنى وفيها مسدس فأدرك فى الحال أن صاحب تلك اليد ماهو إلا راوول .

واختفت اليد بسرعة ، فجرى جورجريه إلى المنحنى ، ولكنه لما وصل إليه لم يجد أثر لراوول ، ورأى شجرة ضخمة أمامه ، فاندفع يجرى نحوها ، ولكنه ماكاد يصل إليها حتى امتدت من ورائها يد أصابته بلكمة شديدة فى وجهه فسقط على الأرض صريعاً .

وكانت أنتونين قد استردت جأشها ، فعادت إلى القصر مسرعة ، وهى واثقة أن راوول سيتغلب على جورجريه بيد أنها عجبت لوجوده وظهوره فى الوقت المناسب .. ولما دخلت القصر رأت المزايدين مجتمعين فى الصالة الكبرى ، وقد وقف المسجل بينهم ، فوقفت وقد عزمت أن تنتظر وترى من الذى سيشترى القصر.

ودقت الساعة أربع دقات فبدأ المسجل عملية البيع قائلاً :

- القصر معروض للبيع بالمزاد ، والثمن المطلوب هو ٨٠٠ ألف فرنك .

فما كاد ينتهى حتى قال قائل : ٨٢٥ ألف فرنك .

وقال آخر : ٨٥٠ ألف .

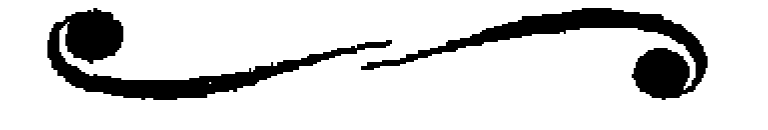
وقالت سيدة : ٨٧٥ ألف .

وقال رابع : ٩٠٠ ألف .

ولزم الجميع الصمت بعد ذلك وقال المسجل : ٩٠٠ ألف .. إن القصر يساوى أكثر من ذلك بكثير .

وساد الصمت مرة أخرى وأوشك المسجل أن ينهيه بقبول آخر عرض حين سمع صوتاً يقول : ٩٥٠ ألف فرنك .

وعرفت أنتونين على الفور أن راوول هو صاحب ذلك الصوت !





الصفقة

لم يزايد أحد على راوول ، ولما رأى المسجل أن أحداً لم يعارض أعلن رسو المزاد عليه وسأله قائلاً :

- ما اسمك ياسيدى ؟

أخرج راوول بطاقة من جيبه ناوله إياها قائلاً :

- إليك بطاقتى .. دون لويس بيرينا ، من رعايا الدولة البرتغالية .. وإليك شيك بنصف القيمة على البنك البرتغالى بلشبونة .. أما النصف الآخر فأرسله إليك فى اليوم الذى سيتكرم ويحدده لى المركيز ديرلمون بعد أن نفرغ من حديثنا .

فقال المركيز فى دهشة : حديثنا ؟

- نعم ياسيدى ، فإن لى حديثاً معك .

فكر المركيز ديرلمون هنيهة ثم قال : حسناً .

وكان الموجودون قد انصرفوا ، فخرج المسيو أدريجا المسجل بعد أن انتهت مهمته، وخرج المركيز معه يشيعه .. وأرادت أنتونين أن تخرج هى الأخرى ، غير أن راوول أغلق الباب ، فجرت إلى الباب الأخر ولكنه أمسك بها وأحاطها بذراعه وأراد أن يقبلها فى عنقها فصاحت تقول غاضبة :

- دعنى ، دعنى وإلا ناديت .....

ضحك راوول وهم بأن يعيد الكرة ، ولكنه سمع وقع أقدام فأطلقها من يده .. وظهر المركيز وصاح يقول حين رأى الاضطراب الذى اعترى الفتاة .

- ما الخبر ؟ .. ما الخبر ياأنتونين.

فقالت لاهثة : لا شئ .. لا شئ .

فتحول المركيز إلى راوول مستفهماً فقال هذا الأخير :

- المسألة بسيطة جداً ، فقد ذكرت اسمى الحقيقى المذكور فى البطاقة فى حين أننى أقيم فى الطابق المنخفض بقصرك برصيف فولتير منتحلاً اسم المسيو راوول ، وقد أخطأت الآنسة يوم قدومها إليك ، وطرقت باب شقتى .

ودهشت اليوم حين سمعتنى أقول إن اسمى دون لويس بيرينا .

دهش المركيز ديرلمون دهشة كبيرة وقال :

- من أنت ياسيدى ؟ .. وماذا تريد ؟

- أريد أن أتفق معك فى أمر .

- إننى لا أتفق مع أى أحد فى أية أمور .

قال راوول :

- وأنا كذلك .. بيد أننى أهتم بأمور الغير .. وفى هذا الأمر بالذات تجدنى مهتماً بمسألة الميراث الذى خلفه جدك .. وقد أتيت أعرض عليك مساعدتى وأسألك عن نوع هذا الميراث .

- أهذا كل ما تريد أن تعرف ؟

- كلا .. هل يجب أن أتكلم أمام الآنسة عن الكارثة التى وقعت فى قصر فولنيك قبل أن تشتريه ؟

سرت رعشة فى بدن المركيز وتمتم يقول :

- أجل .. إننى حدثتها عن الفاجعة التى ألمت باليزابيث هورنان .

- ولكنك لم تحدثها عن السر الذى كان بينكما بالطبع ؟

- أى سر ؟

- إنك لم تذكر لها إنك كنت عشيق اليزابيث هورنان ، كما إنك لم تذكر ذلك أثناء التحقيق الذى قاموا به وقتئذ ، فلماذا لزمت الصمت ؟ ولماذا اشتريت القصر بعد ذلك ؟ هل هناك علاقة بين كارثة قصر فولنيك وبين اختفاء الميراث الذى ذهبت ضحيته ؟ لقد حيرتنى هذه الأسرار ، فعقدت العزم على الاهتمام بهذه المسألة ، فعملت على الإقامة بقصرك ، واشتريت هذا القصر حتى لايشتريه أحد .. ثم هناك كلارا الشقراء ، عشيقة اللص المشهور بول الكبير .. فقد دخلت قصرك الليلة الماضية خلسة ، وفحصت الصور الفوتوغرافية التى فى درج مكتبك .. ثم هناك فالتكس .

أجفل المركيز وتمتم : فالتكس ؟ وما شأنه فى هذه المسألة ؟

فقال راوول :

- إن له إسماً آخر .. والبوليس يبحث عنه لأنه هو بول الكبير بنفسه وقد فاجأته وهو يحاول اختطاف كلارا الشقراء .. ثم هناك بعد ذلك البوليس .. أعنى مفتش البوليس جورجريه .. إنه مازال مهتماً بفاجعة قصر فولنيك على الرغم من أن القضية حفظت .. وقد جاء اليوم هنا ولكننى حلت بين حضوره صفقة البيع ، فكممت فمه وقيدت قدميه ويديه وتركته فى الحديقة .

" هذه هى المسألة ياسيدى ، فإنى لو أرشدت البوليس إلى بول الكبير فسيعترف بالصلة التى كانت بينك وبين اليزابيث هورنان ،

فيبعث الماضى من رقدته ، ولايعلم غير الله ماذا سيكون .. وقد رأيت أن آتى إليك أولاً وأستشيرك فيما ينبغى أن أفعل !

تردد المركيز ثم قال أخيراً :

- اننى لا أعرف شيئاً .. لا أستطيع أن أخبرك بما لا أعرفه .

نهض راوول عندئذ وقال :

- حسناً .. متى ستغادر هذا القصر ياسيدى ؟

- غدا مساء .. سأقضى فى باريس ليلة واحدة ثم أغيب عنها ثلاثة أسابيع .

- ثلاثة أسابيع ؟ .. فليكن موعد لقائنا إذن بعد خمسة وعشرين يوماً ..

يوم الأربعاء ، فى الساعة الرابعة ، على الدكة التى فى الحديقة .. هل توافقك هذه الساعة ؟

أجاب ديرلمون : نعم .. وفى هذه الأثناء ، سأفكر .

- فى أى شئ ؟

- فى الأمور التى تشترطها على .

فضحك راوول وقال : سيكون السيف قد سبق العزل ياسيدى .. إننى فى اليوم الثالث من شهر يولية ، فى الساعة الرابعة مساء ، سأذكر لك الحقيقة كلها بخصوص مسألة فاجعة قصر فولنيك ، واختفاء ميراث جدك .. وبذلك تستطيع الآنسة أن تقيم فى هذا القصر إذا ما أعدت لى الشيك الذى أعطيته للمسجل اليوم .. فإننى أرى أنها معجبة بالقصر كل الإعجاب .

قال ديرلمون وقد استولى عليه الانفعال :

- إذن .. إذن فأنت واثق انك ستتنجح فى مسعاك .

- لن أفشل فى مسعاى هذا إلا إذا منعنى عائق واحد .

- وما هو ؟

- الموت !

وتناول راوول قبعته وودع المركيز ديرلمون وانتونين بايماءة رقيقة من رأسه ثم خرج .. وأفاق المركيز من انفعاله فجأة وهو بين الشك واليقين :

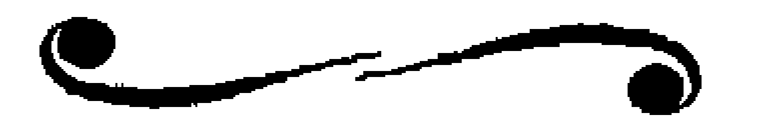
- لايمكن أن ينجح .. انه رجل أفاق .. ينتحل اسمين .. ويهزأ بالبوليس .

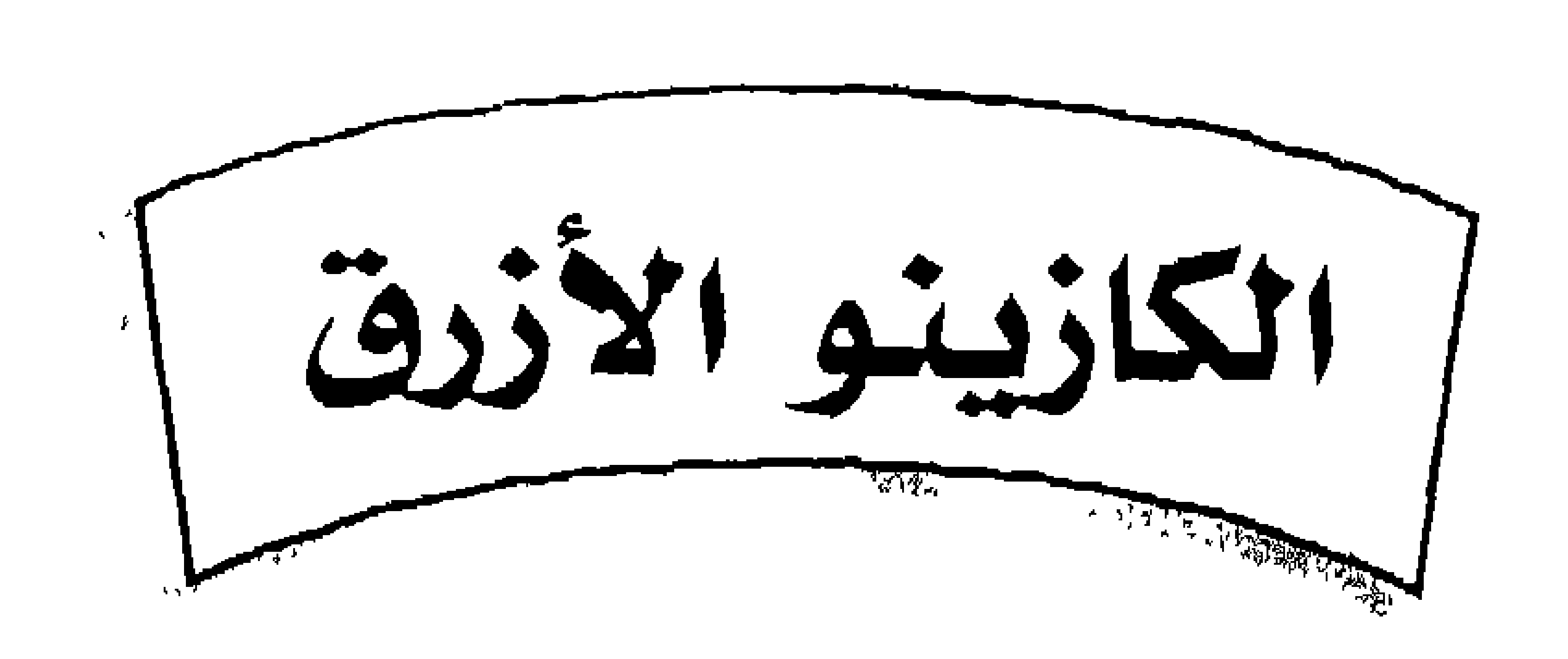
وأردف يقول بعد أن فكر هنيهة :

- إنه رجل شديد المراس على كل حال .. وإنى أنتظر أن ينجح .. إنه رجل مدهش .

كررت الفتاة كلماته الأخيرة قائلة بصوت خافت :

- نعم .. إنه رجل مدهش .





في الساعة الحادية عشرة من مساء ذلك اليوم صعد راوول إلى غرفة نوم المركيز ديرلمون بواسطة سلم أسندة تحت نافذته ، وكان المركيز غارقاً فى نوم عميق ، فلم يسمع شيئاً ، ورأى راوول ملابس المركيز معلقة على مشجب ففتشى جيوبها ، وعثر على الخطاب الذى أحضرته أنتونين للمركيز ، ولما قرأ ما فيه تأكد مما أدركه من قبل .. تأكد أن انتونين هى إبنة المركيز ديرلمون .

عاد راوول من حيث أتى ، ونقل السلم تحت نافذة غرفة انتونين ، وصعد ، فرأى الفتاة نائمة فى هدوء ، ووجهها الجميل يشبه الملائكة .. وأراد أن يطبع على شفتيها قبلة ، ولكن ضميره أنبه فتردد هنيهة ثم عاد أدراجه .

عجب راوول لأمر هذه الفتاة .. هل تعلم أن المركيز ديرلمون أبوها ؟

فجاءت لتنتقم منه لأمها ، أم أنها جاءت تسعى وراء غرض آخر .. هل تسعى للعثور على الميراث المختفى ، مثله ؟!

عاد راوول فى اليوم التالي إلى باريس وهو لايزال نهبة أفكار شتى وبينما هو خارج من المحطة أبصر بجورجريه ، وكان واقفاً فى مكان لايراه منه ، فأسرع إليه وقال وهو يتكلف الابتسام :

ـ كيف حالك ياصاحبى ؟

وماكاد جورجريه يسمع صوته ويراه حتى كادت عيناه تخرجان من

مكانها من فرط الغضب ، وصاح يقول بصوت متلعثم :

ـ ماذا ؟ ما أشد جرأتك .. تعال معى إلى إدارة الأمن العام .. فسنتحدث هناك .

فقال راوول :

ـ ما كنت أحسبك ظريفاً هكذا ! أتريد أن تلقى القبض على ؟ أحسبت أننى من البلاهة بحيث أرمى بنفسى فى فم الأسد دون أن أتخذ الحيطة اللازمة ؟!

تمالك جورجريه نفسه وقال :

ماذا تريد ؟

ـ إننى سأرشدك إلى عدوك الألد .. سأرشدك إلى بول الكبير .

ـ بول الكبير ؟

ـ نعم .. سأساعدك فى القبض عليه ، ولكن على شرط أن تدعنى هادئاً وتدع كلارا الشقراء وشأنها .

ـ حسن .. إننى أقبل هذا الشرط .

ـ سأرشدك إلى بول الكبير وشريكه ومساعده وذراعه الأيمن المعروف باسم العربى .. هل تعرف الاكرفيس ؟

ـ نعم .

ـ أحضر معك إذن أربعة رجال من الشرطة وستجدنى فى انتظارك هناك .

سأكون متنكراً فى هيأة جنتلمان انجليزى ، فلا تطلق النار على .

قال ذلك وابتعد بخطى وئيدة ، فنظر جورجريه إليه متردداً ، وأخير هز كتفيه وقال :

ـ فلأهتم أولا ببول الكبير ، ثم أولى أهتمامى بعد ذلك بأمر هذا الشاب وكلارا الشقراء .

• • •

لم تسفر مهاجمة رجال البوليس لبار الاكرفيس عن شئ .. والواقع أن بول الكبير كان موجوداً بداخله ، ولكنه انتبه للأمر فلاذ بالفرار تحت أنف المفتش جورجريه ورجاله .

وكان المركيز ديرلمون قد سافر كما أخبر راوول .. وفى غداة سفره اختفت انتونين فأخذ راوول يبحث عنها فى كل مكان ولكنه لم يجدها .

وعلم جورجريه أن بول الكبير لجأ إلى كازينو جديد فتح أبوابه أخيراً ، فبث حوله العيون والأرصاد ، ودبر خطة محكمة للقبض عليه دون أن ينتبه ، وتنكر هو ورجاله وانضموا إلى الموجودين وراحوا يراقبون كل شخص .. وكان راوول بين الموجودين .. وكان من ضمن برنامج حفلة الافتتاح رقصة جديدة ستقوم بها راقصة مقنعة ، فلما أتى دورها وظهرت على خشبة المسرح أدرك على الفور أنها انتونين ، وتمتم يحدث نفسه : إنها هى .. إنها هى .

ولكن كيف يمكن هذا ؟ وكيف يصدق أن الفتاة القروية ، ابنة المركيز ديرلمون تمتهن هذه الحرفة وترضى أن ترقص أمام الناس ، بل كيف يعقل إنها وجدت ما يكفى من الوقت ، بعد عودتها من فولنيك لكى تعود إلى البيت وتستبدل ثيابها وتأتى على الكازينو ؟؟!

ورأى جورجريه الراقصة هو الآخر ، فأدرك فى الحال ما أدركه راوول ، ولاحظ هذا الأخير ذلك فخشى على أنتونين وأخذ يبحث عن وسيلة لإنقاذها .

ـ وفجأة ظهر فالتكس ، وكان يتقدم نحو الكواليس، فما كاد راوول

يراه حتى سرت رعشة باردة فى بدنه ، فقد رأى أن أنتونين أصبحت بين خطرين من أشد الأخطار، وهما خطرا الوقوع بين أيدى رجال البوليس ، وخطر الوقوع بين يدى فالتكس ، أى بول الكبير .

رأى جورجريه فالتكس فلمعت وأبرقت أساريره وانثنى إلى رجاله يزودهم بأوامره وتعليماته ، فى حين أسرع راوول إلى الكواليس ليدرك فالتكس .

وفجأة رأى فالتكس واقفاً وراء خشبة المسرح وهو يكاد يلتهم الراقصة بنظراته متأكداً من أنها هى انتونين نفسها ، ونظر حوله يبحث عن جورجريه ولكنه وجد الكواليس خالية ولم ير لجورجريه أثراً .

عول على أن يدافع عن الفتاة بكل ما يستطيع فاقترب من فالتكس وربت على كتفه فتحول هذا الأخير إليه ، وما كاد يرى وجه راوول الساخر حتى استولى عليه الخوف ، وتمتم يقول بصوت يقطر حقداً وغضباً : أنت .. أنت ! .. هل أتيت لأجلها .

ولكنه لم يلبث أن استرد جأشه فجأة مدركا أن الجمهور لايراهما وهما فى مكانها هذا وحدهما ، وقال راوول :

- أجل .. إننى أتيت لأجلها .. بل إننى أرافقها .. وقد وثقت بى وكلفتنى بالدفاع عنها، إذا يظهر أن بعض السفهاء يهددونها .

عصف الغضب بفالتكس وصاح يقول : أيها الوغد ..

رد راوول عليه قائلاً :

- إننى أتيت لأحذرك ياصاحبى ، فقد أرشدت البوليس إليك ، وأتى جورجريه ورجاله للقبض عليك .

أدار فالتكس بصره حوله بعينين زائغتين وقد امتقع وجهه ، وأراد

أن يهرب .. ولكن ظهرت الراقصة فجأة ، فقد عادت بعد أن انتهت من رقصتها .. وظهر جورجريه ورجاله فى نفس الوقت ، فلما رأى فالتكس ذلك كاد يفقد رشده .. أما راوول فقد خاف على أنتونين فهجم على فالتكس فى الحال .. وأخرج هذا الأخير مسدسه من جيبه وصوبه نحو الراقصة وأطلق الرصاص ولكن راوول عاجله بأن رفع يده فى الهواء فطاشت الرصاصة ، بيد أن الراقصة وقعت على الأرض مغمى عليها .

وحدث كل شئ بعد ذلك بسرعة ، فقد هجم جورجريه على بول الكبير وهو يصيح برجاله قائلاً :

- هيا يا أولاد .. عليكم براوول والراقصة .

هجم الرجال على راوول ، ولكنهم قبل أن يصلوا إليه ظهر كورفيل فجأة وألقى بحبل عند أقدامهم فوقعوا بعضهم فوق بعض ، وانتهز راوول هذه الفرصة فرفع الراقصة المقنعة وحملها فوق كتفه ، واختفى .

ولم يكن الجمهور قد لحظ أو سمع شيئاً من كل ذلك ، وخرج راوول فى الحال ، وأسرع إلى سيارته فوضع انتونين بداخلها ، وكانت لاتزال غائبة عن الوعى ، ثم صعد بدوره وانطلق بالسيارة .

وبعد أن قطع شوطاً كبيراً مال عليها ورفع قناعها وقلبه يخفق ، ولكنه لم يلبث أن اطمأن فى الحال عندما رأى أنها أنتونين .

واجتاز جسر نهر السين ثم تحول إلى رصيف أوتيل ، ووقف أخيراً أمام قصر منيف .. وكانت الفتاة لاتزال غائبة عن وعيها ، فحملها على كتفه ودق الجرس فتح الباب فى الحال ، ودخل ووضع الفتاة فوق أريكة ثم جثا بجانبها وتمتم يقول :

- انتونين .. انتونين .

فتحت الفتاة عينيها ونظرت إليه هنيهة ثم ابتسمت وتندت عيناها بالدموع ، وامتزجت أمارات الحزن بابتسامتها ، كما امتزجت بها أمارات الحنو والعطف .

مال الشاب عليها قليلاً ولمست شفتاه شفتيها .

هل تصده كما صدته فى قصر فولنيك .. أم سترحب به ؟

وأخيراً أطبقت عينيها ولم تتحرك أو تقاوم .

• • •

فرغا من تناول طعام الإفطار فى صباح اليوم التالى ، وكان راوول قد سرد على مسامع الفتاة قصة انتصاره على المفتش جورجريه وبول الكبير ، وراحت تصغى إليه فى اهتمام زائد ، وكانت كلما فرغ من حديثه تطلب منه المزيد ، فلما أفرغ ما فى جعبته قال :

- ولكنك كنت موجودة يا أنتونين ؟

- لابأس .. إننى أشعر بارتياح وابتهاج وأنا أسمع حديثك ، ثم هناك أشياء لا أفهمها .. إذن فقد صعدت إلى غرفتى فى الليل ؟

- نعم .

- وما الذى منعك من الاقتراب منى ؟

- خفت منك ، فقد كنت قاسية ، شديدة الغلظة فى قصر فولنيك .

- وذهبت قبل ذلك إلى غرفة المركيز ؟

- نعم .. أردت أن أقرأ خطاب أمك ، وقد عرفت حين قرأته أنك ابنته .

قالت وهى تفكر :

- ابنته .. اننى عرفت ذلك عندما وجدت صورة أمى فى مكتبه .

طرق الباب طرقة خفيفة في هذه اللحظة ، ثم ظهر خادم معه بعض الجرائد والرسائل ووضعها على منضدة صغيرة ثم خرج ، فتناول راوول جريدة منها وقال :

- سنعرف الآن ماذا فعل جورجريه فى الكازينو الأزرق . وسنعرف كذلك ماذا تم فى مسألة بول الكبير .

ويسط الجريدة ، وما كاد يرى العنوان الكبير الذى يتصدرها حتى هتف يقول :

- يا للأغبياء .. ما أغبى هذا الجورجريه !

وقرأ بصوت عال :

"بعد أن هرب بول الكبير من رجال البوليس فى كباريه الاكرفيس ، هرب منهم مرة أخرى فى الكازينو الأزرق ، وأفلت من بين يدى المفتش جورجريه ورجاله " .

صاحت الفتاة بصوت خافت :

- آه .. هذا فظيع .. فظيع .

فسألها : لماذا ؟ .. سوف يقع بين يدي البوليس فى وقت قريب .

والواقع أن راوول أحس بالاستياء لفرار بول الكبير ، فإن فى بقائه مطلق السراح خطر عظيم على أنتونين ، فضلاً عن أنه عدو لايستهان به ولن يتردد فى قتلها شر قتلة فى أول فرصة تسنح له .

قرأ راوول الخبر مرة أخرى فعلم أنهم قبضوا على العربى وعلى بعض أفراد عصابة بول الكبير وذكرت الجريدة محاولة قتل الراقصة المقنعة واختطافها بواسطة شاب مجهول كما ذكرت أن أحداً لم ير وجه الراقصة وأن مدير الكازينو ألحقها عنده وهو لايعرف من أمرها شيئاً اللهم إلا إنها كانت ترقص فى أحد مسارح برلين الكبرى وأنها طلبت

أن تظهر على خشبة المسرح مقنعة وذلك لأسباب شخصية قالت إنها ستذكرها له فيما بعد ، فقبل ذلك .

وحدج راوول الفتاة وسألها : هل هذا صحيح ؟

أجابت : نعم .

ـ منذ متى وأنت ترقصين ؟

ـ منذ مدة طويلة ، فقد أحببت الرقص .. ولما ماتت أمى أخذت دروساً لإتقانه ، ثم التحقت بأحد المسارح .

ـ وأين التقيت ببول الكبير ؟

ـ فالتكس ؟ فى برلين .. لم أكن أحبه .. ولكنه سيطر على بنفوذه ، فوقفت منه موقف الحذر ، ولكنه اقتحم غرفتى وفاجأنى وتغلب على .

ـ ياله من وغد .

ـ كان ذلك منذ بضعة شهور ، ثم أتينا إلى باريس .. وقد حوصر بيته ذات ليلة ، وكنت معه، فعرفت عندئذ أنه هو بول الكبير، فاستولى على الفزع وهربت .

ـ واختفيت فى الريف ؟

ترددت الفتاة هنيهة ثم أجابت قائلة :

ـ نعم .. أردت أن استرد جأشى ، ثم أبحث لى بعد ذلك عن عمل ، ولكننى لم أستطع فقد نضب معينى ففكرت فى الكازينو واتصلت بمديره .

ـ ولكن .. ما سبب زيارتك للمركيز ؟

ـ أردت أن أتخلص من هذه الحياة القاسية ، فذهبت إليه وطلبت حمايته .

- أهذا هو سبب ذهابك إلى قصر فولنيك ؟

- نعم ، وقد تولانى الطيش أمس فذهبت إلى الكازينو ، والحق أنى ذهبت وأنا خائفة، وقد تحقق خوفى .

فقال راول : لاينبغي أن تخافى مادمت قريباً منك .

فارتمت فى أحضانه معبرة له عن شكرها وامتنانها .

• • •

قضيا يومين فى القصر لايخرجان .. وكانا يقرآن الجرائد فعلما منها أن التحقيق فى مسألة بول الكبير واختطاف الراقصة لم يتقدم ، بيد أن إحدى الجرائد ذكرت أن البوليس يظن أن الراقصة هى كلارا الشقراء ، عشيقة بول الكبير.. ولم يعترف العربى وأفراد العصابة الذين ألقى البوليس القبض عليهم بشئ ، فظلت شخصية بول الحقيقية مجهولة لايعرفها أحد غير راوول والفتاة والمركيز ديرلمون .

كان كل يوم يمر تزيد فيه روابط الحب بين راوول والفتاة .. وكان راوول يرد على كل سؤال ، ولكنها كانت على العكس منه فلم تذكر له شيئاً من ماضيها ، ولا عن السبب فى وجودها مع المركيز ، ولزمت الصمت التام .. وكانت كلما سألها سؤالا ترد عليه قائلة :

- كلا يا راوول .. لاتسألنى شيئاً .. إن حياتى وأفكارى لا تهمك .. أحببنى كما أنا .

- ولكننى لا أعرف من أنت ؟

- إذن أحببنى كما أبدو أمامك الآن .

فسار بها أمام المرآة وقال :

- إننى أراك الآن مرحة ومسرورة ، وأرى فى ملامحك ابتسامة حلوة عذبة .. ولكننى رأيتك مرة قبل ذلك كما أنت الآن تماما ، غير أن

ابتسامتك كانت مختلفة .. إنك تتغيرين من وقت لآخر .. تارة أراك الريفية البريئة الطاهرة .. وأخرى أراك المرأة التى دهمها القدر بظروفه وأحداثه .

قالت : هذا صحيح .. إننى ذات شخصيتين .. ولكن أيهما تحب يا راوول ؟

- أحب المرأة التى دهمها القدر بظروفه وأحداثه .

ولزم الصمت لحظة ثم ناداها قائلاً :

- انتونين .. انتونين .

حدقت فى وجهه وقال : لى عندك رجاء .. أريد ألاتنادينى باسم انتونين .

- لماذا ؟

- لأن انتونين هو اسم الفتاة القروية ، وقد تغيرت الفتاة القروية وأصبح اسمها كلارا .. كلارا الشقراء .. فأرجو أن تنادينى بهذا الاسم إلى أن أعود كما كنت .

احتواها راوول بين ذراعيه وهتف يقول :

- والآن اصغى إلى بدورك .. هل تعرفين من أنا ؟

فقالت بسرعة : أنت هو أنت .. أنت راوول .

- كلا .. اننى أفاق .. أما سمعت عن أرسين لوبين ؟

فارتجفت وهتفت : ماذا تقول ؟

- لا شئ .. لا شئ .. إنما أردت فقط أن أشبه حياتى بحياته .. وضحك ، وقبلها وتمتم يقول : أى كلارا .. حبيبتى كلارا .

• • •

اهتمت الجرائد بمسألة بول الكبير أسبوعاً كاملاً ، فلما لم تسفر أبحاث البوليس عن شئ لم تعد تذكر أمره .. وقد رفض جورجريه الادلاء بآرائه لمخبرى الصحف .

وكانت كلارا تخرج فى أصيل كل يوم ، فتمشى هنيهة فى الغابة ، ثم تعود .. وكان راوول يخرج هو الآخر فى تلك الساعة للفراغ من أعماله فى المدينة .

وكان يمر من وقت لآخر برصيف فولتير ، أمام رقم ٦٣ على أمل أن يجد بول الكبير ، ولكنه لم ير شيئاً مريباً ، فكلف كورفيل بمراقبة البيت .. وفى اليوم الخامس عشر رأى راوول كلارا خارجة من البيت رقم ٦٣ وتركب سيارة أجرة ، فلم يحاول أن يتبعها وإنما أشار إلى كورفيل وأرسله ليستعلم من البوابة .. وعاد كورفيل بعد قليل فأخبره بأن المركيز لم يعد وأن الفتاة الشقراء جاءت إلى القصر مرتين فى غيابه .. وقال راوول يحدث نفسه :

ـ هذا غريب .. إنها لم تخبرنى بذلك .. لماذا ذهبت إلى القصر ؟

وعاد إلى قصره فى أوتيل ، وبعد ربع ساعة أقبلت كلارا ، وكانت أمارات الغبطة والسرور تشع من عينيها فسألها :

ـ هل تنزهت فى الغابة ؟

ـ نعم ، وقد استمتعت بهذه النزهة .

ـ الم تمضى إلى باريس ؟

ـ كلا .. لماذا ؟

ـ لأنى رأيتك هناك !

ارتبكت كلارا .. ولزمت الصمت هنيهة ثم قالت :

ـ رأيتنى ؟ .. لاريب إنك كنت واهما .

ـ كلا .. بل رأيتك كما أراك الآن .

ـ وأين رأيتنى ياراوول ؟

ـ رأيتك خارجة من قصر المركيز ديرلمون .

ـ هل أنت واثق ؟

ـ كل الثقة .. وقد قالت البوابة إنك ذهبت هناك مرتين قبل اليوم .

لماذا أخفيت ذلك عنى يا كلارا ؟

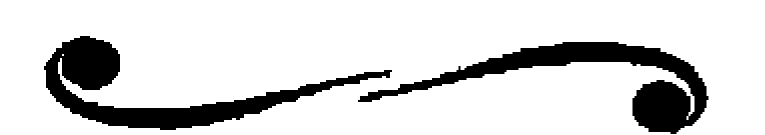
ترددت الفتاة ، وأخيراً همت بأن تتكلم ، ولكنه لم تلبث أن أجهشت بالبكاء وقالت :

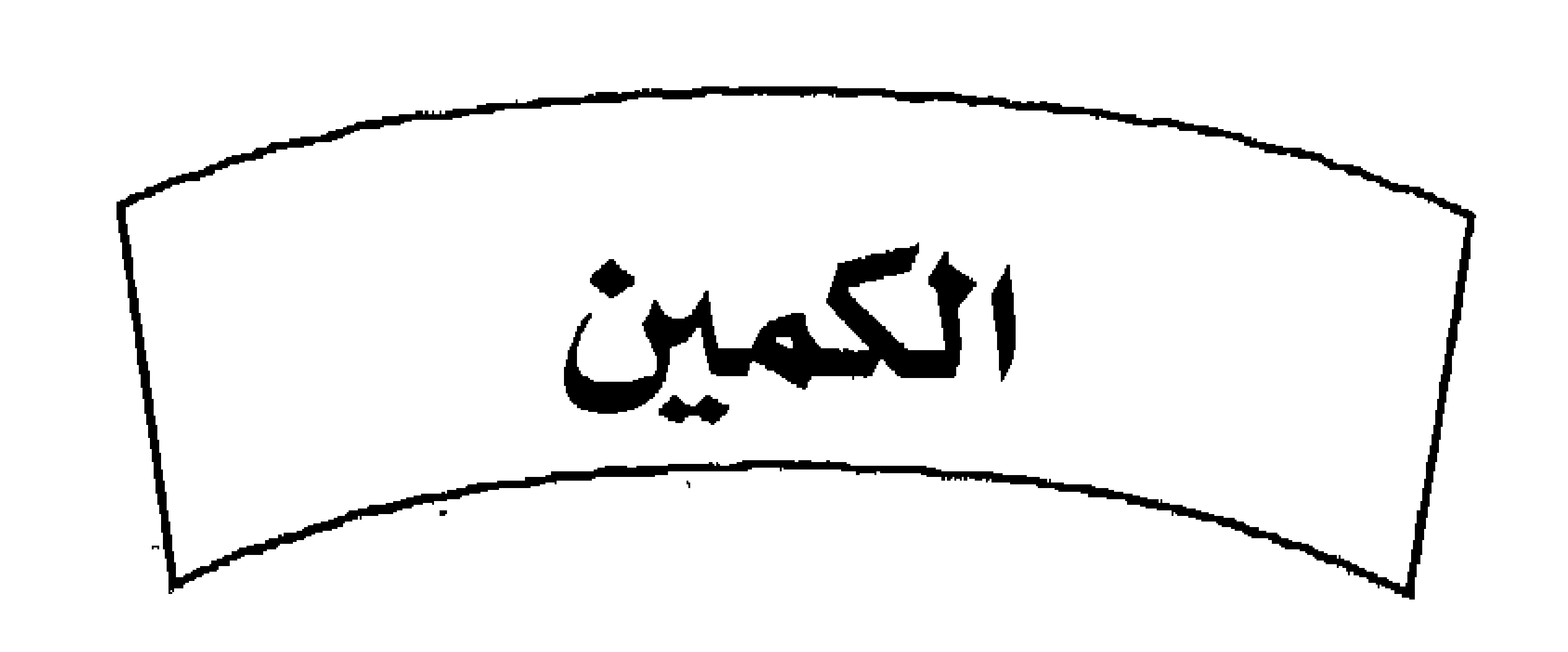
ـ عفوك ياراوول .. لا أستطيع أن أخبرك لماذا ذهبت إلى هناك .

فقال : لابأس .. ولكننى لا أريد أن تعودى إلى هناك مرة أخرى ، فانى أخشى أن تلتقى هناك ببول الكبير، أو بأحد من رجال البوليس ، فتكونين بذلك قد رميت بنفسك فى فم الأسد .

فردت عليه قائلة : وكذلك لاتذهب أنت فإنى أخاف عليك .

وعدها الشاب بما تريد ، فلما رأت ذلك وعدته هى الأخرى بأنها لن تذهب إلى القصر ، ولن تخرج مدة خمسة عشر يوماً .





لم يخطئ راوول حين قال لكلارا أن قصر رصيف فولتير مراقب .. فقد كان جورجريه يراقبه هو ورجاله من جهة ، وكان بول الكبير يراقبه من جهة أخرى .. إلا أن مراقبتهما لم تكن دقيقة فلم ير يا كلارا عندما ذهبت إلى القصر فى المرات الثلاث .

ذلك إن جورجريه اكتفى بأن أوقف بعض رجاله فى نواحى مختلفة بعيدة .. وكان هؤلاء الرجال أغبياء فلم يهتموا بعملهم .. ثم إنهم كانوا ، فوق ذلك ، يعودون إلى المركز فى الساعة الخامسة ، أى قبل الساعة التى اعتادت كلارا الذهاب فيها إلى القصر .

أما بول الكبير فقد خشى أن يعرف رجال البوليس أمره ، فتنكر فى زى مصور واقترب من رصيف فولتير، ووضع أدواته على بعد خمسين متراً من القصر ، وتظاهر بأنه يرسم منظر نهر السين. وكان هو الآخر يجمع أدواته ويذهب فى الساعة الخامسة فلم ير كلارا .

وقد عرف بول أن الفتاة أتت ثلاث مرات ، فكاد يجن يأساً ، ولكنه رشا البوابة ، كما رشاها راوول بواسطة كورفيل ، فلم تخبر جورجريه بمجيئ كلارا إلى القصر .

وفى أحد الأيام ، عندما حانت ساعة انصرافه ، وبينما كان يجمع أدواته اقترب منه أحد أفراد عصابته ويدعى سوستين ، وأخبره إنه علم من البوابة أن الفتاة قالت لها فى المرة الثالثة أن المركيز سيعود

من سويسرا بعد غد .

وبينما هو واقف يخبره بذلك رأى كورفيل يخرج من القصر ويبتعد .. ورآه بول أيضا ، فأمر سوستين أن يتعقبه فأسرع سوستين وراء كورفيل .

وعاد سوستين إلى رئيسه فى البار الصغير بحى مونبارناس الذى اتخذه بول الكبير مقرا له بدلاً من بار الاكرفيس ، وأخبره أن كورفيل ذهب إلى قصر فى أوتيك وأنه رأى فى ذلك القصر الفتاة كلارا ، فاشتعل بول الكبير غضباً وعصف الحقد بعقله وأخذ يفكر فى طريقة يوقع بها الفتاة فى حبائله .

وكأنما اهتدى إلى فكرة ، فقد التفت فجأة إلى سوستين وسأله :

- هل معك شئ بخط راوول ؟

أجاب سوستين : كلا .. ولكن معى رسالة من كورفيل .

فلمع وجهه فالتكس وقال : هاتها .

وتناول الرسالة ونظر إليها هنيهة ، ثم تناول قلماً ، وراح يقلد الخط الذى يراه .. وأخيراً سطر بضع كلمات على ورقة صغيرة ناولها لسوستين وسأله قائلاً : مارأيك فى هذا ؟

قرأ سوستين الورقة ثم قال :

- أرى أن المكان غير مناسب ، فإنها إن ذهبت هناك فستجد جورجريه واقفاً بالمرصاد .

فلم يقل بول شيئاً وإنما كتب بضع كلمات أخرى ناولها لسوستين فقرأ : " عرف البوليس أن بول الكبير يجتمع كل ليلة وأفراد عصابته فى باره البسترو الصغير" بحى موبنارناس ، فى الساعة السابعة مساء " .

وقال فالتكس :

ـ سأرسل هذه الورقة إلى البوليس بالبريد ، وسيجمع جورجريه رجاله ويأتون إلى البار ويتحرون وسيجدون أننا نجتمع فيه حقاً فينتظرون .. وفى أثناء ذلك يمكن أن تقع كلارا فى الفخ دون أن يراها جورجريه .. إننى واثق إنها ستقع فى الفخ .

• • •

فى مساء ذلك اليوم ، خرج راوول كعادته وذهب إلى الحديقة ، بعد أن ودع كلارا وداعا لطيفاً .. وأطلت كلارا من النافذة إلى أن اختفى عن عينيها .. ثم مضت ساعة وبعض الساعة وسمعت فجأة صوت سيارة تقترب فحسبتها سيارة راوول وأسرعت إلى النافذة وأطلت منها .

لم تكن السيارة سيارة راوول ، ولكنها وقفت أمام القصر مع ذلك ، وهبط منها السائق وأسرع إلى الباب وفى يده رسالة .. ورأت كلارا أثار الجزع مرتسمة على وجهه .

وجاءها الخادم بعد هنيهة فناولها الرسالة ، فنظرت إلى مظروفها وقرأت : الآنسة كلارا ، بقصر اوتيل .

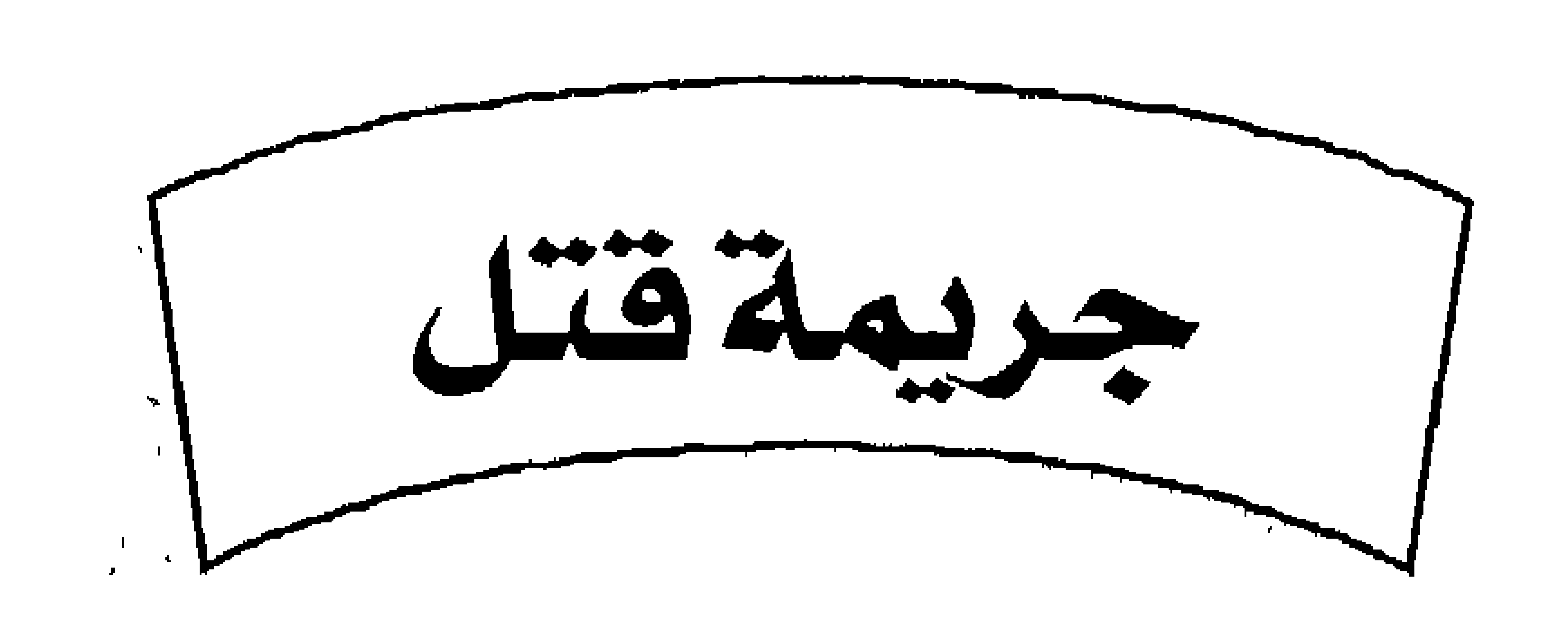
وأسرعت ففضت المظروف وقرأت :

" أصيب المسيو راوول فى حادث وهو راقد فى مسكنه بقصر فولتير .. حالته جيدة ، ولكنه يريد أن يراك .

كورفيل"

وما كادت تاتى على آخرها حتى انتشرت أمام بصرها سحابة مظلمة ، وصاحت تقول :

ـ سأذهب .. سأذهب .



أسرعت كلارا تهبط السلم وهى نهبة للأفكار والمخاوف ، وصعدت إلى السيارة التى أتى بها سوستين مساعد بول الكبير .

لم يخطر ببالها أن هناك فخاً منصوباً لها ، ولم تخمن شيئاً ما، بل كانت تخشى أن تصل فتجد راوول ، حبيبها راوول قد قضى نحبه .

راوول .. أصيب فى حادث .. أى حادث يمكن أن يكون !

تبادر إلى ذهنها أن راوول ذهب كعادته إلى قصر فولتير فالتقى هنا اما بجورجريه ، مفتش البوليس ، وإما بفالتكس ، المجرم الكبير فاشتبكا فى قتال عنيف أصيب فيه راوول إصابة قاتلة فنقله الخدم إلى مسكنه .

قوى يقينها هذا ، فراح قلبها يخفق بشدة ، وأخذت تحث السائق على الإسراع .. وأخيراً وقفت السيارة أمام قصر فولتير ، فهبطت منها وأخرجت ورقة مالية للسائق ولكن هذا الأخير رفض أن يأخذها فالقتها فوق المقعد وهى لاتدرى ، ودخلت القصر مسرعة .

أدهشها الهدوء والسكون المخيمان على البيت ، فقد كانت تتوقع أن تجد جورجريه واقفاً فى انتظارها ليلقى القبض عليها ، أو فالتكس فيقتلها ، ولكنها لم تجد أحداً منهما .

وأسرعت إلى شقة راوول ، فرأت بابها مفتوحاً ، فدفعته ودخلت ، وما كادت تفعل حتى أدركت أنها وقعت فى فخ نصب لها .

ذلك إنها ماكادت تتقدم خطوة داخل الردهة حتى أحست بيد توضع فوق فمها حتى لاتصرخ ، وبيد أخرى تطوق خصرها ، فقاومت وبذلت مجهوداً كبيراً وركلت غريمها بقدمها ، فأفلتها من يده فجأة فوقعت على الأرض داخل الصالون .

ولما نهضت وجدت نفسها أمام فالتكس .

وكان هذا الأخير قد انتهز فرصة وقوعها ، فأحكم إغلاق الباب ، ثم أسرع إلى النافذة وأطل منها ، ولما رأى سوستين واقفاً بسيارته يراقب الطريق اطمأن وأنزل الستار .

والتفت إليها وقال :

ـ إن الباب مغلق ياكلارا ، ولن يستطيع أحد إنقاذك ، ولا حتى صديقك راوول فإنى أرشدت البوليس إليه وجورجريه يطارده .

وسكت هنيهة ثم استأنف يقول :

ـ إنك تعرفين ماذا أريد منك .. إن المكان هادئ ، ولن يعكر صفونا أحد .. سنقضى وقتاً ممتعاً .

وتقدم خطوة نحوها ، فارتدت إلى الخلف وقد استولى عليها الفزع فقال لها : هل أنت خائفة .

فقالت : لست أخاف من الموت .

ـ لم أسألك إذا كنت خائفة من الموت ، وإنما أسألك هل أنت خائفة مما سيحدث .

(فهزت رأسها وأجابت : لن يحدث شئ)

ـ بل سيحدث شئ ياكلارا .. هل تذكرين اليوم الذى اقتحمت فيه غرفتك واستسلمت لى عنوة ؟ ستستلمين لى الآن أيضاً .

وتقدم إليها ، فتقهقرت ومدت يدها تصده عنها فقال :

- أتحاولين مقاومتى كما قاومتنى فى هذه المرة السابقة ؟ لن يجديك هذا نفعا فسأنالك عنوة .

وهجم عليها ، ولكنها حادت عن طريقه ودارت بالغرفة زائغة العينين ، واجفة القلب .. ورأت مسدسا على المكتب فأسرعت إليه وحاولت أن تأخذه إلا أنه كان أسرع منها فاختطفته منها ووضعه فى جيبه وهو يضحك ضحكة الفوز والانتصار .

هجم عليها ثانية وأمسك بها هذه المرة وطوقها بذراعيه وهى تقاومه مقاومة شديدة .. وهوى بشفتيه على شفتيها يريد أن يقبلها ، ولكنه لم يلبث أن أطلقها من بين ذراعيه ووقف ينظر إلى النافذة وقد ارتسمت فى وجهه أمارات الغيظ الشديد والغضب القاتل ، وتمتم يقول كأنه فى حلم :

- هو .. هو ..

دهشت كلارا ونظرت إلى حيث يحدق فرأت مرآة بجانب النافذة ، ورأت فيها شيئاً أذهلها .

رأت راوول واقفا أمامها فى المرآة وهو يبتسم ابتسامة ساخرة ، هائلة ثم رأته يخرج من جيبه مفتاحاً ويدخله فى ثقب القفل ، ويفتح الباب ويدخل ويغلقه خلفه فى هدوء كبير.. فالتفتت وراءها هى وفالتكس مرة واحدة فرآياه يتقدم فى الردهة نحوهما وعلى وجهه نفس الابتسامة الساخرة .

سار راوول بجوار فالتكس فى هدوء وغطى المرآة الساحرة ثم التفت إليه وقال متهكماً :

- لاتغضب أيها العزيز .. لاتغضب .

ثم تحول إلى كلارا وخاطبها قائلاً :

ـ هذه هى عاقبة عصيانك أوامرى يافتاتى العزيزة .. ولكن لاريب أنه أرسل إليك رسالة حسبتها منى .. أليس كذلك ؟ نعم .. حسناً ، إن الذنب ذنبى أنا فقد كان ينبغى أن أتوقع منه أن ينصب لك هذا الفخ .. ولكن لاتخافى ، فإنه لن يستطيع أن يصيبك بأى أذى .. إنه عاجز عن كل شئ ، ولايزال يذكر" العلقة " التى أعطيتها له يوم حاول أن يختطفك .. لاتخشى شيئاً يافالتكس ، فإننى لن أعيد الكرة .. سأكتفى بان أتصل تليفونياً بالمفتش جورجريه فيأتى ويلقى القبض عليك .

فلما رأى أمارات السخرية والتهكم على وجهها استيقظت كرامته فاعتدل فى وقفته، وظهرت على وجهه هو الآخر علامات الاستخفاف وعدم الاكتراث ، وجلس على المقعد ونظر إلى راوول وقال فى هدوء :

ـ إذن فأنت تريد أن تسلمنى لرجال البوليس ؟ لقد حاولت أن تفعل ذلك فأرشدت البوليس إلى بار الاكرفيس ، ثم إلى الكازينو الأزرق .. حسناً .. هل تعرف ماذا يحدث لكلارا إذا القى البوليس القبض على ؟

فقال راوول : لن يحدث لها شئ .

ـ بل أنت واهم .. إنك لو فعلت ذلك ، ولو ألقى البوليس القبض على فسيلقى القبض عليها هى الأخرى بتهمة إنها شريكتى ، وسيلقى القبض على أبيها أيضاً .

فضحك راوول وقال : هذا سخف .

ـ بل حقيقة .. فهى لاتجهل أن المركيز ديرلمون أبوها .. ولكنها تجهل الدور الذى لعبه المركيز جان ديرلمون فى فاجعة قصر فولنيك .. لاريب إنك سمعت عن هذه الفاجعة ياكلارا .. ولاريب أن عشيقتك أخبرك بها (وقد نطق فالتكس بكلمة "عشيقتك" وهو يتميز غضباً)

وأنت تعرفين أن عمتى اليزابيث هورنان قتلت وسرقت منها جواهرها .. ولكن هل تعرفين الدور الذى لعبه أبوك فى هذه المسألة ؟

فهز راوول يديه وقال : هذا سؤال سخيف .. إن المركيز لم يقم فى هذه المسألة بأى دور .. لقد كان مدعواً مع الآخرين .. هذا كل شئ .

- هذا ما اعتقده البوليس ، ولكن هذا الاعتقاد يختلف عن الحقيقة .

- وماهى هذه الحقيقة ؟

- هى أن المركيز ديرلمون قتل اليزابيث هورنان وسرق جواهرها .

فضحك راوول ضحكة ساخرة وقال :

- آه .. ما أظرف ما تقول يافالتكس ! .. وما أظرفك أنت !

وهتفت كلارا تقول محنقة :

- إنك تكذب .. إنك تكذب .. ليس عندك أى برهان على ما تقول .

فهوى فالتكس بيده على المنضدة وقال فى صوت خشن غليظ .

- بل عندى براهين كثيرة .. كنت فى العشرين من عمرى فى ذلك الوقت ، فلما ماتت اليزابيث هورنان لم أخمن شيئاً عن العلاقة التى كانت بينها وبين المركيز ديرلمون، غير إنى ، بعد عشر سنوات من موتها ، عثرت على خطابات لها عرفت منها إنها كانت عشيقة المركيز ديرلمون ، فدهشت لذلك ، وعجبت لصمت المركيز ، وساءلت نفسى لماذا لم يذكر علاقته بها للمحققين .. واستيقظت ظنونى ، وأخذت أبحث وأتقصى إلى أن علمت أن الرجل الغامض الذى اشترى القصر هو المركيز نفسه ، فعدت إلى جرائد ذلك الوقت ، وقرأتها واحدة واحدة ، وذهبت إلى قصر فولنيك وفتشت فيه مراراً وسألت الأهالى مرة بعد مرة .

- وهل وجدت شيئاً ؟

فقال فالتكس : بل وجدت أشياء كثيرة تأكدت بواسطتها من جرم المركيز ، فهو الذى نصح مسيو ومدام دى جوفيل بدعوة اليزابيث هورنان إلى قصرهما ، وهو الذى عرض عليها أن تغنى وهى واقفة فى خرائب القصر القديم ، وهو الذى ذهب معها إلى الخرائب .

- ولكنه عاد بعد أن أوصلها .

- نعم .. عاد ولكن بعد أن حصل منها على ما أراد .. إنهما عندما اختفيا وراء المنحنى لم يظهرا إلا بعد فترة طويلة ، مع إن المسافة قصيرة ، فماذا حدث فى تلك الفترة ؟ .. لقد خلعت اليزابيث هورنان جواهرها لأنها لم تشأ أن تغنى وهى تلبسها وعهدت بها إليه فوضعها فى جيبه وعاد .

- وبعد أن عاد قتلها حتى لا تستعيد جواهرها ؟ .. فهل قتلها مستعيناً بالأرواح أيها العزيز فالتكس ؟

- كلا ، بل استأجر شخصاً فقتلها .

- ولكن المرء لايقتل إمرأة يحبها للاستيلاء على جواهرها .

- هو ماتقول .. ولكنه كان يعانى من ضائقة مالية ، وكانت الجواهر تبلغ قيمتها ملايين من الفرنكات .

- كفى سخفاً .. أنسيت أن اليزابيث نفسها قالت أن الجواهر مقلدة .

- بل أرغمت على هذا القول .

- لماذا ؟

- لأن رجلا أمريكياً أهداها إياها ، وكان ذلك الرجل عشيقاً لها أثناء زواجها بالمسيو هورنان وقد خشيت أن يخمن زوجها شيئاً فتظاهرت أمامه وأمام الجميع بأنها جواهر زائفة ، فلم يخطر لأحد

أن يكذبها .

- ومن الذى قتلها ؟

- قتلها رجل لم يشتبه فيه أحد يدعى جاسيو ، وهو صياد ، ماهر فى إصابة الطيور بالأحجار بواسطة نبلة .. وقد رأيته يفعل ذلك أمامى ، فأدركت فى الحال أنه استخدم هذه الطريقة فى قتل اليزابيث هورنان ، فضيقت عليه الخناق وأكرهته بالأسئلة فحاول أن ينكر وقال لى أنه يتذكر أن امرأة ماتت وهى تغنى.. وقد سألت الأهالى فأخبرنى الكثيرون بأنهم رأوا المركيز يتحدث مع جاسيو فى صباح اليوم الذى قتلت فيه اليزابيث .

وسكت فالتكس هنيهة فسأله راوول قائلاً :

- وبعد ذلك ؟

- بعد ذلك تأكدت أن جاسيو قتل اليزابيث بحجر كبير حاد أرسله من نبلته بناء على أمر المركيز ديرلمون .

- هذه مجرد نظرية .

- كلا .. إن عندى البراهين على صدق ما أقول ، فإذا قبض البوليس علي فسأتهم المركيز ديرلمون بأنه هو الذى قتل اليزابيث هورنان وسرق جواهرها .. وسأستطيع أن أثبت لهم أنه كان يعانى من ضائقة مالية وأنه عهد إلى مكتب للأبحاث والاستقصاءات البحث عن ميراث مخبوء ، وسأطالب بعد ذلك بالجواهر التى سرقها لأنها أصبحت ملكاً لى .

- إنك لن تأخذ منها شيئاً .

- ليكن .. ولكن البوليس سيلقى القبض على المركيز ديرلمون وسيتلطخ اسمه بالعار .. إنه يخشى أن يعرف البوليس أمره ،

ويخشى كذلك أن أشى به لأنه لم يرفض أن يعطينى ما طلبت منه من نقود على الرغم من أنه يجهل ما أعرفه .

أخذ راوول يتمشى فى الغرفة جيئة وذهاباً وهو يفكر ، وأخيراً وقف أمام فالتكس وسأله قائلاً :

- إذن فأنت تهددنا !

- كنت أريد أن أنتقم لعمتى اليزابيث ، بيد اننى رأيت أن أنتهز الفرصة واستفيد من البراهين التى جمعتها .

رمقه راوول بنظرة طويلة ثم قال : وماذا تريد الآن ؟

حسب فالتكس أنه ربح المعركة فقال بلهجة الفوز :

- أريد أن ترافقنى عشيقتى .. أريد أن تأتى معى الآن .

شحب وجه راوول وحدجه بنظرة قاسية ثم رفع يده وهوى بها على وجه غريمه ، فصرخ فالتكس ، وترنح .. وأراد أن يدافع عن نفسه ، إلا أن راوول عاجله فأوسعه ضرباً ولكماً وقد استولت عليه سورة من الغضب وجعل يقول :

- تريد أن ترافقك ؟ تريد أن تخرج معك ؟

لم يستطع فالتكس أن يدافع عن نفسه وضربات راوول تنهال عليه أكثر من ذى قبل .. وكانت الفتاة واقفة تنظر إليهما فى جزع ، فأمسكت بيد راوول وهتفت تقول متوسلة :

- كفى ياراوول .. كفى ضرباً .. دعه يذهب ولاتسلمه للبوليس .. دعه يذهب من أجل خاطر أبى .

فلما سمع راوول ذلك خف غضبه فكف عن الضرب وتمتم يقول :

- لابأس .. أخرج .. هل تسمع يافالتكس .. اخرج قبل أن أغير رأيى .

وحذار أن تلمس كلارا أو تحاول إيذاءها .

وقف فالتكس لحظة لا يتحرك ، فاعتقد راوول أنه فقد قواه من جراء الضرب .. وتخاذلت ساقا فالتكس ، وكاد يقع على الأرض .. ولكن كان هذا تظاهرا منه فحسب، فإنه انتهز لحظات الدهشة التى استولت على راوول فغافله وأخرج من جيبه المسدس الذى كان قد أخذه من فوق المنضدة واعتدل فى وقفته وصوبه نحو راوول مكشراً عن أنيابه .

وحدث كل شئ بعد ذلك بسرعة غريبة ، فعلى الرغم من سرعة بول الكبير كانت كلارا أسرع منه فقد صعقت حين رأت المسدس ، وارتسمت على وجهها أمارات الرعب والجزع ، واندفعت إلى المنضدة فتناولت خنجراً صغيراً من بين الأوراق وغرزته فى صدر فالتكس فى الحال قبل أن يفكر راوول فى منعها .

والظاهر أن فالتكس لم يحس بما أصابه فى البداية لأنه وقف ينظر إلى الفتاة فى هدوء ، وفجأة وقع المسدس من يده ، واصفر لونه ثم ابيض ثم تصلب جسده وهوى إلى الأرض مرة واحدة وهو يعانى سكرات الموت .

نظرت كلارا إلى الدماء التى أخذت تسيل من جرحه والخنجر لايزال فى يدها ، وكأنها أدركت فجأة هول ما فعلت ، فترنحت فى وقفتها وتمتمت تقول وهى تنظر إلى راوول :

ـ إننى قتلت .. قتلت .. إنك لن تحبى بعد .. أواه .. ما أتعسنى !

فرد عليها الشاب قائلاً :

ـ بل سأحبك .. إننى أحبك ياكلارا .. ولكن لماذا طعنته ؟

ـ كان سيطلق النار عليك .. المسدس .

ـ ولكنه كان فارغاً .. لقد تركته فوق المنضدة سهواً .

وأجلسها على مقعد ، ثم جثا بجوار فالتكس ، وفحصه فوجده يتنفس فنهض وقال :

ـ إن قلبه لايزال ينبض ولكنه يحتضر .. اخرجي ياعزيزتي .. لا يمكن أن تبقى هنا فسوف يأتي رجال البوليس .

ـ كلا .. لن أخرج .. فأنا التي قتلته ، وأنا التي ينبغي أن يلقى القبض علي .

فارتبك راوول وصاح يقول :

ـ إذن فسنخرج معا .. سنهرب معا .

واقترب من النافذة ، ولكنه ارتد إلى الوراء على الفور ، فقد رأى جورجريه واقفاً يراقبه البيت هو وبعض رجاله .

ووقف يفكر هنيهة ، وكانت الفتاة جالسة وقد استولى عليها الذهول ، وهي غارقة في أفكارها فلما رأى راوول ذلك أسرع وأمسك سماعة التليفون وقال :

ـ آلو . آلو. اصغي إلي يا آنسة .. كلا ، لا أريد رقماً وإنما أريد أن أتحدث إلى المديرة .. نعم ، إلى المديرة .. آه .. أهذه أنت ياكارولين ؟ صباح الخير ياعزيزتي.. اصغي إلي .. لدى الآن جريح مصاب .. كلا .. إنه جرح بسيط .. أرجو أن تطلب رقم تليفوني وأن تدعى الجرس يدق باستمرار حتى تسمع البوابة رنينه فتصعد .. كلا .. إنه جرح بسيط كما قلت لك .

وأعاد السماعة مكانها وما هي إلا لحظات حتى صلصل رنين الجرس .. ولما سمع راوول بذلك أسرع إلى عشيقته وأمسكها من ذراعها وقال :

ـ هلمـى بنا .. إن البـوابة سـتـصـعـد بعد قليل .. وسـتـمـضـى إلى جورجريه وتخبره بأمر فالتكس .. هلمى بنا نهرب .

وكان صـوته هـادئاً على الرغم من الموقف الحرج الذى كان يعانيه ، فلما رأت كلارا ذلك نهضت واقفة من غير اعتراض .

وتناول الشاب الخنجر ووضعه فـى جيبه ، ثم مسح البصمات التى على سمـاعة التليفون ، وخـرج مع الفتـاة ، وصـعدا السلم إلى الطابق العلوى .

وكـان جـرس التليـفـون لايزال يرن ويمـلأ المكان برنينه فـمـا كـادا يبلغان الطابق الثـالث حتى سمـعا البوابة تصيح وتهبط السلم مسرعة فقال :

ـ إن كل شئ على مايرام .

بيد أن الفتاة قالت فى صوت خافت : إننى قتلت .. إننى قتلت .

وصـعـدا إلى سطح ومنه انتـقـلا إلى سطح البيت المجاور ، وكـان خالياً من السكان ، فهبطا السلم دون أن يراهما أحد ولما بلغا الطابق الأرضى قال :

ـ اخـرجى أنت أولا ، حتى لايفطن أحـد إلى شئ ، واسبقـينى إلى فندق فوبور وانتظرينى فى قاعة الانتظار .

وكـان فندق فـوبور من أشـهـر الفنادق وأكبرهـا فى رصيف فولتير، فلمـا خـرج راوول بدوره بعد خـمس دقائق وذهـب إلى الفندق لم يجـد الفتاة ، فـاستيقظت مـخاوفه واستولى عليـه القلق ، وخـرج من الفندق وراح يتمشى أمامه جيئة وذهـاباً فى انتظار قدومها .

ولكن مرت ساعة ، ولم تحضر الفتاة فتمتم يقول :

ـ هذا غريب .. سأنتظر .. سأنتظر .

وطال انتظاره ولم تحضر الفتاة فازداد قلقه وخوفه عليها ولم يدر ماذا حدث لها .. هل مضت إلى البوليس وسلمت نفسها .. هل اختفت في مكان ما .. تخيلها تهيم في الطرقات في جوف الليل .. تخيلها وهي تمشي على شاطئ نهر السين ، وخشي أن تكون قد ذهبت هناك وألقت بنفسها في اليم مؤثرة الانتحار على أن يقبض البوليس عليها .

واستولى عليه النعاس وهو غارق في هذه الأفكار ، ولما استيقظ وثب من فراشه ودق الجرس مراراً فدخل كورفيل ، وسأله قائلاً :

- ألم تسمع شيئاً ؟

ولكن كورفيل لم يرد .. ورأى راوول جريدة في جيبه فاختطفها ولما بسطها قرأ فيها هذه الكلمات

مصرع بول الكبير

" ألقى المفتش جورجريه القبض على كلارا الشقراء ، عشيقة بول الكبير بتهمة قتلها عشيقها ، وهو مقتنع بأنها قتلته بمساعدة عشيقها الجديد المسيو راوول الذي اختطفها في ليلة افتتاح الكازينو الأزرق ، وقد بادر شريكها بالهرب " .





خدم الحظ المفتش جورجريه هذه المرة ، فقد كان غائباً عن المركيز عندما أرسل بول الكبير إشارته فلم يستلمها .. وعليه فقد ذهب ، وهو ورجاله إلى البيت رقم ٦٣ برصيف فولتير .. وكان ذهابه هناك بعد دخول راوول فلم يعرف أن بول الكبير وكلارا الشقراء وراوول موجودون بالداخل .

فلما سمعت البوابة رنين الجرس صعدت لكى ترى ما هنالك ، وما كادت ترى فالتكس ممداً على ألرض والدماء تسيل من صدره حتى أطلقت صرخة هائلة ، وهبطت السلم مسرعة وخرجت وهى تصيح وتنادى طالبة النجدة ، فأسرع جورجريه إليها وسألها الخبر .

تأكد جورجريه على الفور أن راوول وكلارا الشقراء هما اللذان اقترفا هذه الجريمة، فأرسل إشارة إلى جميع المراكز ذكر فيها أوصاف الشابين .

وبينما هو يقوم بأبحاثه فى غرفة القتيل جاءه أحد رجاله وقال له :

ـ إننا ألقينا القبض على كلارا .. كانت تسير على الشاطئ .

فسأله جورجريه بلهفة : وأين هى ؟

ـ إننى سجنتها فى غرفة البوابة .

فأسرع جورجريه إليها ، وكانت جالسة تحدق أمامها فى ذهول ، ورأى أمارات الخوف والهلع مرتسمة على وجهها فأمر بتفتيشها وهو

يتوقع أن يجد الخنجر معها ، ولكن التفتيش لم يسفر عن شئ .

ضيق جورجريه على الفتاة بأسئلته ، ولكنها لم ترد عليه فاستولى عليه الغضب وأمر باقتيادها إلى المركز فى انتظار التحقيق الذى سيجرى فى الغد ثم عاد إلى بيته ، وكانت الساعة التاسعة مساء .. ولكنه ، مع ذلك ، لم يجد زوجته بالبيت .

كانت قد أخبرته أثناء النهار بأنها ستخرج لكى تتمشى هنيهة فأذن لها .. ولما عاد فى الساعة التاسعة ووجد أنها لم ترجع بعد فساءه ذلك ، وانتظر عودتها ، ولكن مرت الساعة العاشرة فالحادية عشرة ولم تحضر فازداد استياؤه ، وانتابه قلق عظيم ، واستدعى الخادمة وسألها عنها فأخبرته بأنها ارتدت ثوب الرقص وخرجت.

كان يعرف أنها تحب دور الرقص ، وكان يعرف أنها تذهب دائماً إلى مرقص سان لازار، فمضى إليه ولما سأل المدير قال له هذا الأخير إن مدام جورجريه أتت الليلة ورقصت مع بعض الشبان وتناولت الكوكتيل مع شاب آخر قبل أن تخرج ، وأردف يقول :

- وهذا هو الشاب الذى تناولت معه الكأس .

والتفت جورجريه إلى حيث يشير ، فرأى شاباً واقفاً ، مولياً ظهره إياه .. ومع ذلك ما كاد يراه حتى أخذته رجفة وسرت فى بدنه رعشة .. ذلك لأنه عرف الشاب .

هم جورجريه بأن يخرج ويستدعى بعض رجال الشرطة ويأمرهم بإلقاء القبض على راوول ، ولكنه تردد مع ذلك ، وخشى أن تكون هناك علاقة بينه وبين اختفاء زوجته فذهب وجلس بجواره .

ورآه راوول وهو يجلس، فنظر إليه فى جراءة، فلما رأى جورجريه ذلك قال له : أيها الوغد .

فرد عليه راوول قائلاً : أيها النذل .

فاحتدم جورجريه) غيظاً وقال : يا أوغد الأوغاد .

فقال راوول فى هدوء : يا أنذل الأنذال !

وساد بينهما صمت طويل قطعه راوول أخيراً بأن قال :

- جرسون .. آتنا بفنجانين من القهوة .

وعندما أحضر الجرسون الطلب لم يكن جورجريه يفكر إلا فى أن يهجم على راوول وأن يشهر مسدسه ويسوقه إلى قسم البوليس .. ولكنه كان يعود فيفكر فى زوجته فيسكت على مضض .

حاول أن يسأل الشاب عنها ولكنه كان كلما فتح فمه تخونه الكلمات وتختنق فى حلقه ، فضحك راوول وقال ساخراً :

- لقد تناولت العشاء معى .

فسأله جورجريه : عمن تتكلم ؟

- عمن ؟ .. اننى لا أعرف اسمها .

- اسم من ؟

- اسم مدام جورجريه .

كاد جورجريه يهوى بيده على وجه الشاب .. ولكنه تمالك نفسه وقال بصوت لاهث :

- اختطفتها إذن أيها الوغد .. اختطفت زوزوت !

- زوزوت ؟ أهذا اسمها ؟ ما أجمله ! .. وما أعذب وقعه ؟

لم يطق جورجريه صبراً وسأله :

- لماذا اختطفتها .. وما هى نيتك ؟

- متى سترى كلارا الشقراء ؟

ـ غدا صباحاً .

ـ أظن أنك تريد أن تستجوبها .

ـ نعم .

ـ أعدل عن استجوابها يا جورجريه ، وقل لها هذا فحسب .. قل لها إن بول الكبير لم يمت .. ولا كلمة أخرى .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ تأتيني هنا وتقسم لى برأس زوجتك إنك فعلت ما أمرتك به ، وبعد ذلك بساعة تعود إليك زوجتك .

ـ وإذا رفضت ؟

ـ إذا رفضت سأمضي وانضم إلى زوزوت و ...

أدرك جورجريه ما يرمي إليه راوول فضغط على قبضتيه ، وبعد أن فكر برهة قال :

ـ إن ما تطلبه منى غريب .. فواجبى أن لا أهمل أى شئ فى سبيل بلوغ الحقيقة وإذا أهملت واجبى فإن ذلك يكون خيانة .

ـ عليك أن تختار بين واجبك وبين زوزوت .

قال جورجريه :

ـ ليكن ما تريد .. ابق هنا .. سأعود بعد نصف ساعة .

ـ حسناً .. إذا عدت وأقسمت لى برأس زوجتك أنك فعلت ما أمرتك به فسأخلى سراح زوزوت .

ـ سأفعل ما تريد .

ونهض جورجريه ، ودفع ثمن القهوة للجرسون وابتعد .

● ● ●

انتظر راوول فى المرقص عـشــرين دقـيـقـة وهـو مـوزع بين القلق والخوف .

القلق على كلارا والخوف على نفسه مما قد يفعل جورجريه .

كان يخشى أن يعود جورجريه إليه ومعه بعض رجاله لإلقاء القبض عليه فيكون بذلك قد أصاب عصفورين بحجر واحد .

وقد زاد قلقه إلى حد كبير ، وفكر فترة طويلة ، وأخيراً تناول ورقة سطر فيها هذه الكلمات .

" إلى المفتش جورجريه

فكرت طويلاً وهدانى التفكير إلى أن انضم إلى زوزوت "

وخرج من المرقص ، وابتعد ثلاثين خطوة ، ووقف فى مكان مظلم . ومـضت هـنيـهـة ثم رأى سـيــارة هبط منـهـا جـورجـريه وبعـض رجـاله فابتسم وقد تحققت ظنونه ، وابتعد وهو يتمتم قائلاً :

ـ لقد فر العصفور عن القفص ياصديقى .

وذهب إلى بيته فى أوتيل وهو نهبة للهواجس وعرضة للمخاوف .

كان لا يفكر إلا فى مصير كلارا .. خـشى أن يرهقـها جـورجـريه بأسئلته وجلس على مقعد ودفن رأسه بين يديه وأخذ يفكر .

كان يفكر فى طريقة ينقذ بها كلارا .

وفـجـأة فتح الباب بهدوء ودخلت منه فتاة ضعيفة خائرة القوى ، كانت هـى كلارا نفسها .

راحا ينظران إلى بعضـهما دون أن ينطق أحدهما بكلمة.. أما هو ، فقد استولى عليـه ذهول عظيم .. أما هـى فقد وقفت تنظر إليـه فى ذلة وانكسار .

وأخيراً همست تقول :

ـ لم أجد عندى القوة الكافية لأموت .. كنت أريد أن أنتحر ، وقد ذهبت إلى الشاطئ مراراً .. لم أجد عندى القوة .

نظر راوول إليها مشدوهاً وهو لايتحرك وراح يفكر ، فقد كانت المسألة غامضة وشديدة التعقيد .. فإن كلارا موجودة الآن فى السجن، وهى موجودة أمامه أيضاً ، فكيف هذا ؟

نظر إليها مدة طويلة وقد انطبعت على وجهه علامات التفكير العميق ، وفجأة ضج بالضحك .. وكانت ضحكة طويلة مرحة .. فلما رأت كلارا ذلك ارتمت على الفراش وراحت تبكى .

واقترب راوول منها وقال : لاتبكى ياكلارا .. لاتبكى ، إذن فقد كنت تعرفين ؟

ـ نعم .

ـ لماذا لم تخبرينى بالحقيقة .

ـ لأننى أحببتك .

ـ لأنك أحببتنى ؟ وهل أخفيت عنى الحقيقة لأنك أحببتنى ؟ ما أحمقك أيتها العزيزة .. هل لك الآن أن تذكرى كل شئ .

مسحت دموعها وقالت فى صوت خافت : سأذكر لك كل شئ .. لن أكذب عليك يا راوول .. نادتنى أمى إلى جوارها فى الليلة التى فاضت فيها روحها وقالت لى : يجب أن تعرفى الظروف التى أحاطت بمولدك ياكلارا ، وأن تعرفى اسم أبيك .. كنت فى باريس فتاة حديثة السن طائشة ، وكنت أعمل حائكة فى أحد المحلات الكبرى .. فتعرف بى رجل وأغوانى فأحببته .. وقد علمت أن لذلك الرجل عشيقات أخريات .. وقد هجرنى قبل مولدك ببضعة شهور وجعل يرسل إلى مبلغاً من

المال كل شـهـر، ثـم انقطع فـجـأة .. لـم أحـاول أن أبحث عنـه.. وهـذا الرجل مركيز غنى .. سأذكر لك اسمه .

"كان له عشيقة قبل أن يعرفنى، وكانت عشيقته تلك فتاة تعطى دروساً للأطفال فى القرى .. وقد هجرها قبل أن يعلم أنها حامل .. وسـافـرت إلى دوفـيسل منذ بضـعـة أعـوام والتـقـيت هناك بطفلة فى الثانية عشرة من عمرها تشبهك شبهاً غريباً ، وقد استعلمت عن هذه الفتاة فعلمت أن اسمها أنتونين جوتييه" .

"هذا كل ما أخبرتنى به أمى، وقد ماتت فى تلك الليلة دون أن تذكر لى اسم المركـيز.. وكنت فى السابعة عشرة من عمـرى ولم يكن لدى غيـر دليل واحـد وهو أنى وجدت صـورة فـوتوغـرافـية لمكتب من عـهـد لويس السادس عشر ، ووجدت مع تلك الصورة طريقة فتح درج سرى بالمكتب ، مكتوبة بخط أمى .. واشـتـغلت بعد ذلك والتـحـقت بالمسـرح لكى اكسب قوت يومى ، وعرفت فالتكس منذ ثمانية عشر شهراً .

"ولم يكن يتحدث أمـامـى عن أعماله أو مشـروعاته ، ولكنه تكلم فى أحد الأيام عن المركيز ديرلمون أمـامـى ، وقـال لى أن عنده مكتب بديع يرجع عـهـده إلى عـهـد لويس السـادس عشـر ، فـسـألته عن ذلك المكتب وقـد اسـتـيـقظت ظنونى ، وهتف بى هاتف فـقـال أن هذا المكتب هو المكتب الذى رأيت صورته ضمن متاع أمى .. وخطر لى أن المركيز قد يكـون هـو الرجل الذى أحب أمـى .. ولكننـى علـى الرغم من كل ذلك أردت أن أتأكد .

"ففى ذات مسـاء عـاد فـالتكس وفى يده مـفـتـاح ولوح به فى الهواء وقـال : أترين هذا المفتـاح ؟ إنه مـفـتـاح شـقـة المركـيـز ديرلمون .. لقد نساه فى القفل ، وسـأعيده إليه غداً .. فغافلته وأختلست منه المفتاح ، وصعدت إلى شقة المركيز حيث فاجأتنى أنت .

فقال راوول : ولكن من الذى أخبرك باسم انتونين ؟

- أنت ياراوول .. إنك حين فاجأتنى دعوتنى باسم انتونين ، وذكرت لى خبر مجيئها إلى المركيز .

- ولكن لماذا لم تردينى إلى خطئى .

- أردت فى البداية أن أحول اهتمام الناس إلى واحدة غيرى ، ومع ذلك فقد أردت أن أخبرك بالحقيقة وأذكر لك كل شئ غير أنك عندما انقذتنى فى الكازينو الأزرق من فالتكس وجورجريه أحببتك أكثر ولم أشأ أن أذكر لك شيئاً لأننى كنت أعرف أنك لاتحب كلارا وإنما تحب انتونين التى رأيتها لأول مرة قبل أن ترانى .. وقد حسبت أنت أن كلارا وانتونين امرأة واحدة .

فقال راوول : هذا غريب .. هذا غريب ، والأغرب أننى لم أفطن إلى الحقيقة ، ولكن كان لابد لأى رجل غيرى أن يقع فيما وقعت أنا فيه .. إن جورجريه نفسه قد خدع وحسب أن انتونين هى كلارا ، فتبعها وهى خارجة من محطة سان لازار ، وكذلك انخدع مرة أخرى أخرى وألقى القبض عليها مساء أمس .

فارتجفت كلارا وسألته : ماذا تقول ؟ ألقى القبض على انتونين ؟

- أما كنت تعرفين ذلك ؟ لقد أتت انتونين بعد فرارنا بنصف ساعة فقبض عليها رجال جورجريه وهم يعتقدون أنها كلارا .. إننى أفهم الآن لماذا صمتت انتونين ولم تحاول أن تدافع عن نفسها .. لاريب أنها تحاول بذلك أن تنقذنى .

وكانت كلارا قد وضعت قبعتها فوق رأسها فسألها قائلاً :

- هل أنت خارجة ؟ .. إلى أين تذهبين ؟

- سأذهب إلى قسم البوليس ، فأنا التى يجب أن يقبض جورجريه

عليها ، فأنا التى طعنت بول الكبير ، وأنا كلارا الشقراء .. لايجب أن أتركها فى المكان الذى ينبغى أن أكون أنا فيه .

فـقـال راوول : لا تخـرجى يا كـلارا .. إننـى سـأنقـذها .. نـعم ، سأنقذها .

وكان يتكلم بلهجة تنم عن الصدق والاخلاص فاكتسب ثقتها ولم تعترض واحتواها الشاب بين ذراعيه وراح يمطرها بقبلاته .

• • •

وفى الساعة الثامنة من صباح اليوم التالى اتصل راوول تليفونياً بجزيرة سان لويس الذى عهد إليه بزوجة جورجريه ، وقد بادره الصديق قائلاً :

- إن حارسة السجن موجودة معى الآن ، ويمكنها أن تتصل بالسجينة صباح اليوم بالذات .

قال راوول : حسناً .. اكتب ما أمليه عليك الآن .

" أشكرك يا آنسة لالتزامك الصمت .. لاريب أن جورجريه قال لك انه ألقى القبض على وأن بول الكبير مات .. لاتصدقيه فهذا كذب وكل شئ على مايرام.. من مصلحتك أن تتكلمى الآن لكى يطلق سراحك .. ولاتنسى موعدنا فى اليوم الثالث من شهر يولية .. المخلص ر .

ثم قال يسأل صديقه : هل كتبت كل ذلك ؟ أعط الورقة إذن لحارسة السجن لكى توصلها إلى أنتونين ، وأعد زوزوت إلى زوجها .. إننى سأرحل أنا وكلارا فى رحلة طويلة .

• • •

عندما عاد جورجريه إلى المرقص ولم يجد راوول أدرك أن هذا الأخير خمن الخطر الذى ينتظره فآثر أن يهرب ، فتملكه الغضب ،

وأخذ يسب ويلعن ورجع إلى إدارة الأمن العام وقد صمم على أن يرهق الفتاة بأسئلته حتى تعترف بجريمتها .

ولكن ما أن وصل إلى السجن وذهب إلى الفتاة حتى اعترفت له بأنها ليست كلارا وأن اسمها انتونين وأنها كانت ذاهبة إلى قصر فولنيك لكى تخبر البوابة بأن المركيز سيصل اليوم فلم يصدقها جورجريه ولكنها أثبتت له أنها كانت فى الفندق الذى تقيم فيه منذ رحيل المركيز فى ساعة ارتكاب الجريمة وأن شهادة ميلادها باسم انتونين جوتييه المولودة من أب مجهول موجودة بين متاعها بالفندق .. وعندما مضى إلى الفندق وجد شهادة الميلاد بين متاعها كما قالت ، كما أثبتت له مديرة الفندق أن انتونين كانت تتحدث معها ساعة ارتكاب الجريمة بالذات فلم يسعه إلا أن يطلق سراحها وهو يكاد يجن من الحيرة والغضب .

ولكنه لم يلبث أن أدرك ما غاب عنه طوال هذه المرة .. أدرك أن هناك فتاتين تشبه كل منها الأخرى كل الشبه ، إحداهما عشيقة بول الكبير والأخرى انتونين سكرتيرة المركيز ديرلمون .. وصب غضبه على العربى ، مساعد بول الكبير ، وأرهقه بالأسئلة إلى أن اعترف له بأن بول الكبير هو فالتكس نفسه .

وذهب جورجريه إلى مسكن فالتكس وفتشه على أمل أن يعثر على شئ .. وبينما هو يقوم بعملية البحث عثر على مذكرات بول الكبير فراح يتصفحها بدقة ، وقرأ فى إحدى صفحاتها هذه الكلمات :

" عنوان راوول ٢٣ شارع أوتيل .. والجراج متصل بالبيت ، واعتقد أن راوول هو أرسين لوبين ، وسوف أتحقق من ذلك "

ما كاد جورجريه يقرأ هذه الكلمات حتى أسرع إلى مدير الأمن وأطلعه بالأمر فاستولى الانفعال على المدير وتصور نفسه وهو يلقى

القبض على أرسين لوبين فأمر جورجريه بالإسراع إلى البيت رقم ٢٣ بشارع أوتيل ، كما أمره بأن يأخذ معه قوة كبيرة .

• • •

وضع راوول السماعة مكانها بعد أن فرغ من حديثه مع صديقه وعاد إلى كلارا فاحتواها بين ذراعيه وقبلها قبلة طويلة قطعها عليه رنين التليفون ، فتناول السماعة وأصغى هنيهة وقد ظهرت على وجهه أمارات الجد ثم أعادها أخيراً ، والتفت إلى الفتاة وقال :

- إن جورجيه قادم ومعه قوة كبيرة .. وقد رآهم كورفيل فاتصل بى .

ثم حمل الفتاة فوق كتفيه بخفة وهبط السلم مسرعاً ، ولكنه ما كاد يصل إلى نهايته حتى دخل جورجريه وبعض رجاله وهم شاهرى السلاح فأسرع إلى غرفة جانبيه وأغلق الباب .

غير أن جورجريه ورجاله سرعان ما اغتصبوا الباب ودخلوا فى أثره .. وقال جورجريه :

- ارفع يديك يالوبين .

هتف لوبين : آه .. أعرفت اسمى ؟

- إذن فأنت تعترف ؟

- إن الإنسان لايستطيع أن يتنكر للاسم الذى حمل له المجد والشهرة .

عاد جورجريه يقول : ارفع يديك وإلا أطلقت النار .

- حتى على كلارا ؟

- حتى على كلارا .. هيا يا أولاد وامسكوا هذا الفتى .

تقدم رجلان ، ولكن راوول عاجلهما بكلمتين ارسلتهما إلى الأرض .. فلما رأى جورجريه ذلك زمجر وقال :

الويل لك .

ثم هجم على راوول ، ومسدسه فى يده .

ولكنه ما كاد يتقدم حتى هوى من السقف ستار حديدى قسم الغرفة قسمين ، وفصل راوول وكلارا عن رجال البوليس وجورجريه .

وهجم جورجريه ورجاله على الستار يحاولون رفعه .

أما راوول فقد ذهب بحمله إلى دولاب فى الحائط ففتحه ودخله ثم أغلقه خلفه .. وضغط على لولب فانفتح أمامه منفذ تقدم فيه .

وسار فى ممرات طويلة نحو خمس عشرة دقيقة فى بيت منعزل خال من السكان .

هبط راوول السلم وهو لايزال يحمل كلارا فوق كتفه .. ولما خرج من الباب وجد كورفيل واقفاً بسيارته فى انتظاره ، فوضع الفتاة فى السيارة وصعد بجوارها .

وانطلقت السيارة بهم .





راوول يتكلم

عاد المركيز ديرلمون من رحلته بسويسرا إلى باريس فى اليوم الثالث من شهر يوليه ، فلما علم بأن انتونين كانت فى السجن استفهم منها عما حدث وعندما اطمأن إلى أن التهمة التى ألصقت بها كانت كاذبة ، مضى معها ووقفا أمام الدكة التى عينها راوول وقال :

ـ إذن فأنت تعتقدين أنه سيأتى ؟ لقد مر شهر على الموعد ، وقعت فى أثنائه أمور كثيرة كدت أن تفقدى فيها حريتك .

أجابته انتونين : أنه أكد لى أنه سيأتى ، فى الرسالة التى أرسلها إلى وأنا فى السجن .

ـ سيأتى فى الساعة الرابعة إذن ؟

ـ نعم .. سيكون هنا بعد خمس وعشرين دقيقة .

هز المركيز رأسه ثم قال مغتبطاً :

ـ الواقع أننى أريد أن يأتى .. ما أغرب أمر هذا الشاب .. إن الجرائد تتكلم عنه كثيراً وتقول أنه أرسين لوبين .. لقد حير لوبين هذا رجال البوليس ودوخهم مدة طويلة .. هل تعرفين الآن حقيقة مساعدنا هذا يا أنتونين ؟

ـ نعم .. ولكنى أثق فيه كما تثق فيه أنت أيضاً .. ماذا يهمك إذا كان هو أرسين لوبين أو راوول مادام سيكشف لنا حقيقة مسألة فولنيك .

ومرت هنيهة ثم قال المركيز :

ـ هل قرأت قصة مونت كريستو ؟ لقد واعد بعض أصدقاء التقى بهم فى أماكن مختلفة من أماكن المعمورة بتناول الغذاء معهم. وكان بينه وبين الموعد شهور طوال فذكر لكل من أصدقائه بأنه سيكون فى مكان اللقاء فى تمام الساعة الثانية عشرة على الرغم من العراقيل التى قد تتخلل رحلته.. وقد جاء يوم الموعد ، وجلس الأصدقاء أمام المائدة .. وفى تمام الساعة الثانية عشرة دخل الخادم وقال :

ـ سيدى الكونت دى مونت كريستو .

ودق جرس الباب وهو يتكلم فقال : هل هو الذى حضر .

وأخرج ساعته من جيبه فإذا بها الرابعة إلا خمس دقائق ، فقال :

ـ لقد أقبل قبل الميعاد .. وهذا غير لائق منه .

وأسرع إلى الباب ، فوجد أن الطارق لم يكن غير المفتش جورجريه فسأله فى لهجة خشنة :

ـ ماذا تريد ياسيدى ؟

فقال جورجريه : هل تسمح لى بمحادثتك ياسيدى ؟

سأله المركيز وساعة الأبرشية تدق أربع دقات : فى أى شأن ؟

ـ أريد أن أحدثك بخصوص الآنسة أنتونين .. فهناك بعض نقاط أريد أن أستوضحها وأن أكون على بينة منها .

فالتفت المركيز ديرلمون إلى البوابة وصاح قائلاً :

ـ اغلقى الباب بالمفتاح ، وإذا طرقه أحد فلاتفتحى .. لاتدعى أحدا يدخل .. ولكن ، هاتى المفتاح .

فضغطت أنتونين على يده شاكرة ، فإنه بعمله هذا يحول بين التقاء

جورجريه براوول ، إذا أتى هذا الأخير .

ناولت البـوابة المفتاح للمركيـز وعـادت مكانهـا فـابتسم جـورجـريه وقال :

ـ أرى أنك كنت تنتظر زيارة أخرى غير زيارتى ياسيدى المركيز ، كما أرى أنك تحول بينى وبين الزائر الذى تنتظره .

فقال جان ديرلون : إننى أكره أن يأتى دخيل إلى بيتى ياسيدى .

ـ وهل تعتبرنى دخيلاً ؟

ـ نعم .. وأود أن نفرغ من حديثنا بسرعة ياسيدى فتفضل واتبعنى إلى مكتبى .

وكان لابد من اجـتـيـاز الفناء للذهـاب إلى المكتب ، فلم يكد المركيز يتقدم حتى رأى رجلاً جالساً على الدكة فى الحديقة وهو يدخن .

ووقف الجميع مصعوقين من الدهشة .

وكذلك وقف جـورجـريه وجعل ينظر إلى راوول فى بلاهة وغبـاء .. ولما رآهم راوول ألقى بالسيجارة التى فى يده إلى الأرض وتقدم إليهم وقال وهو يبتسم : إننى أذكرك ياسيدى إن الموعد كان على الدكة .. وقد جلست فوقها عند آخر دقة من دقات الساعة الرابعة .

وكان يرتدى ثياباً أنيقة .. ورفع قبعته وانحنى أمام أنتونين وقال :

ـ إننى أعتذر إليك يا آنسة لما تحملته من ألم بسببى ، وأرجو ألا تحقدى على فقد فعلت ما فعلت لصالح المركيز ديرلون .

ولم ينطق بكلمة واحدة عن جورجريه كأنه لم يره .

ولزم جـورجـريه الصـمت هو الآخر فلم يتكلم .. وراح راوول ينظر إليهم هنيهة ثم قال :

ـ إننى متردد ياسيدى ، أسائل نفسى هل أتكلم أم .. فقد حسبت أن ما سأقوله لايجب أن يسمعه أى شخص غريب ، ولكننى بعد إمعان التفكير وجدت أخيراً أنه لاضير فى أن يسمع أى شخص ما سأقول.. سأذكرلك كل ما أعرف ياسيدى المركيز أمام مفتش البوليس الذى يرتاب فيك ويعتقد أن لك إصبعاً فى فاجعة قصر فولنيك سأذكرلك الحقيقة كاملة ، وسأحمل المفتش الذى يرتاب فيك على أن يحنى رأسه أمامك معتذراً .

سكت راوول فى حين ضغطت أنتونين على أسنانها حتى لاتبتسم ، فقد كان راوول يتكلم بلهجة كلها سخرية ، ويغمز بعينيه وهو يشير إلى جورجريه .. وقد تظاهر هذا الأخير بأنه لم يسمع شيئاً .

ومرت هنيهة ثم أردف راوول يقول : إن الحوادث التى وقعت أخيراً لم تعد لها أهمية ، فقد انتهت مسألة كلارا الشقراء وأنتونين جوتييه .. وظهر السر فى تشابهما ، وكذلك انتهت مسألة بول الكبير والمسيو راوول .. وكل ما يهمنا الآن هو فاجعة قصر فولنيك ومصرع اليزابيث هورنان والبحث عن ثروة ضائعة .. أظنك لاتحقد على لهذه المقدمة الطويلة ، فلابد منها لكى نحل هذه المسألة ونعرف سر تلك الجريمة الغامضة .. ولابد منها حتى أحول دون استجواب البوليس لك .

ـ استجواب ؟ .. أى استجواب ؟

ـ إن البوليس يحاول أن يتهمك فى مسألة قصر فولنيك ياسيدى المركيز .

ـ ولكنى لم أقم فيها بأى دور .

ـ إننى مقتنع بذلك ياسيدى .. ولكن البوليس دهش لأنك لم تعترف بعلاقتك باليزابيث هورنان ، ولأنك اشتريت قصر فولنيك ولم تخبر أحداً ولأنك تقضى فيه ليلة كل سنة .. إنهم يتهمونك .

أرتجف المركيز وقال : يتهمونني .. ماهذه الحكاية ؟ ومن الذى يتهمنى ؟ وبماذا يتهمنى ؟

وكان يتكلم فى حنق ظاهر وعاد يسأل : من الذى يتهمنى ؟

- فالتكس .

- فالتكس ؟

- نعم فقد جمع ضدك أدلة كثيرة سيذكرها للعدالة حين يشفى ..

شحب لون أنتونين .. وكان جورجريه يصغى فى صمت واهتمام ، واقترب المركيز من راوول وقال له :

- تكلم .. تكلم .. بماذا يتهمنى ؟

- بأنك قتلت اليزابيث هورنان .

ساد صمت عميق عقب هذه الكلمات وتغيرت ملامح المركيز أثناءه ، ثم ضحك مستهزئاً وقال :

- هل لك أن تشرح ماتقول ؟

اجاب راوول : إنك كنت تعرف فى ذلك الوقت ياسيدى المركيز رجلاً يدعى الشيخ جاسيو ، وكنت تقف وتتحدث معه مراراً .. وكان الشيخ جاسيو يصطاد الطيور بالأحجار بواسطة نبلته ، وقد جمع فالتكس أدلة على أن الشيخ جاسيو قتل اليزابيث هورنان بحجر بناء على أمر منك بينما كانت تغنى فى خرائب القصر القديم .

صاح المركيز يقول : ولكن هذا سخف .. لماذا أقتلها .. لماذا أقتلها وقد كنت أحبها ؟

- للاحتفاظ بعقودها التى أعطتك إياها قبل أن تغنى !

- ولكن تلك العقود كانت زائفة .

ـ كلا .. إنها كانت حقيقية ، وقد أهداها لها رجل أمريكى .

صاح المركيز فى غضب :

ـ هذا كذب وإفتراء .. إن اليزابيث لم تحب أحداً غيرى .. هل من المعقول أن أقتل امرأة أحبها ؟ إننى مازلت أحبها ومازلت اذكرها .. ألم أشتر القصر الذى فاضت فيه روحها حتى لايدنسه أحد غيرى بدخوله .. لقد كنت أعود مرة كل سنة لأصلى على روحها ، بين هذه الخرائب ، فهل كنت أفعل ذلك لو أننى قتلتها ؟

صفق راوول فى مرح وسرور وقال : مرحى ياسيدى .. آه . لو إنك أجبتنى بهذه الصراحة وبهذا الإخلاص منذ خمسة وعشرين يوماً لما حدث شئ مما حدث .. إننى لم أصدق التهمة التى يريد فالتكس إلصاقها بك .. إنه أراد بذلك أن يهددك وأن يضعك تحت رحمته .. ولكننى سأنقذك منه ياسيدى المركيز ، وأرجو فى سبيل ذلك أن تذكر لى الحقيقة كاملة .

ـ الحقيقة ! .. ولكننى أجهلها .

ـ وأنا كذلك أجهلها .. ولكن لنتفاهم سوياً ونفسر الأمر بيننا .. هل كانت الجواهر حقيقية ؟

لم يتردد المركيز هذه المرة بل أجاب على الفور :

ـ لقد كانت حقيقية .

ـ وقد كانت ملكك ، أليس كذلك ؟ إننى أذكر أن جدك عاد إلى فرنسا بثروة كبيرة تقدر بالملايين من الفرنكات ، وأميل إلى الاعتقاد بأنه حول هذه الثروة إلى جواهر نفيسة غالية ، فهل هذا صحيح ؟

ـ نعم .

ـ وإننى افترض أنك أعرتها إلى اليزابيث هورنان .

- نعم .. فقد اتفقنا على أن نتزوج بعد انقضاء المدة القانونية على طلاقها .. وكنت أشعر بالزهو حين أرى الجواهر عليها .

- هل كانت تعلم أنها حقيقية ؟

- نعم .

- هل كانت جميع الجواهر التى تزينت بها تلك الليلة ملكك ؟

- كلا .. كان بينها عقد أهديتها إياه وأصبح ملكاً لها .

- وهل أعطيته لها بيدك أنت ؟

- كلا .. أرسلته إليها عن طريق تاجر الجواهر الذى كنت أتعامل معه .

هز راوول رأسه وقال : أرأيت ياسيدى .. أرأيت الحجة القوية التى فى يد فالتكس .. يكفيه أن يثبت أن ذلك العقد ملكها وبذلك تكون الطامة الكبرى .

وسكت هنيهة ثم أردف يقول : المهم الآن أن نجد هذه العقود .. إنك رافقت اليزابيث هورنان إلى الخرائب .. أليس كذلك ؟

- رافقتها حتى المنحنى فقط .

- إنكما بقيتما وراء هذا المنحنى مدة طويلة فماذا كنتما تفعلان ؟

- كان قد انقضى على وقت طويل لم أر فيه اليزابيث وحدها فتعانقنا مدة طويلة .

- وبعد ذلك ؟

- بعد ذلك ، أرادت أن تعطينى الجواهر لكى يسهل عليها الغناء ، ولكننى لم أوافقها ، فلم تلح ووقفت تنظر إلى وأنا أعود .. ولما بلغت المنحنى كانت لاتزال واقفة مكانها .

ـ وهل كانت الجواهر فى جيدها عندما وصلت إلى الشرفة العليا بالخرائب ؟

ـ لا أدرى .. لم ينتبه أحد من المدعوين إلى ذلك .. لم يلحظ أحد اختفاء الجواهر إلا بعد أن وقعت الكارثة .

ـ ولكن فالتكس يؤكد عكس ماتقول .. إنه يقول أن اليزابيث لم تكن تحمل الجواهر عندما كانت تغنى .

قال المركيز : إذن فقد سرقت منها قبل أن تموت .

ساد صمت طويل قطعه راوول وهو يقول فى بطء شديد :

ـ إن الجواهر لم تسرق .

ـ لم تسرق ؟ لماذا قتلت اليزابيث هورنان إذن ؟

ـ إن اليزابيث هورنان لم تقتل .

كان راوول يتكلم بلهجة مرحة خفيفة .. وقد أحدث قوله هذا دهشة كبيرة .

وصاح المركيز يقول :

ـ ولكنى رأيت الجرح .. وقد رآه الجميع .. لم يكذب أحد فكرة الجريمة .. فمن الذى ارتكبها ؟

رفع راوول ذراعه وأثار بإصبعه وقال :

ـ ارتكبها المذنب الجبار .

ـ المذنب الجبار ؟ .. مامعنى هذا ؟

ـ معناه أن المذنب الجبار هو الذى قتل اليزابيث هورنان .

وأردف راوول يقول : وأرجو الآن أن تتكرموا بمرافقتى إلى الخرائب .

لم يطع جان ديرلمون رجاء راوول على الفور ، وإنما راح ينظر إليه مذهولاً ثم قال فى إنفعال :

- لقد حاولت أن أنتقم لاليزابيث ، وتألمت كثيراً لعجزى عن ذلك .. ولكن هل صحيح أنك ستقول لى كيف ماتت ؟

أجاب راوول : نعم .. وأظن أنى أعلم مكان الجواهر أيضاً !

برقت أسارير أنتونين ، فقد وثقت فيه واتضح أن ثقتها فى محلها ، وضغطت على يد جان ديرلمون لتظهر له ابتهاجها وسرورها .

أما جورجريه فقد توترت كل أعصابه وهو ينظر إلى راوول .. فهل من الممكن أن يعرف هذا الشاب سر الجريمة فى مدة لم تتجاوز شهرا فى حين قضى هو ستة عشر عاما يجرى وراء هذه الحقيقة .. ثم إنه فوق ذلك دعى إلى مكان الحادث ورأى كل شئ فى حين أن هذا الشاب لم ير شيئاً على الإطلاق ، وإنما سمع قصة الفاجعة التى ألمت بالمغنية من أفواه الناس .

تقدم جان ديرلمون الجميع إلى الخرائب .. وتبعته أنتونين ، بينما سار راوول وجورجريه وراءها .

كان راوول أكثرهم هدوءاً ، وقد سُر حين رأى الفتاة تسير أمامه ، ولحظ فى مشيتها أشياء كثيرة تميزها عن كلارا .

صعد المركيز الدرجات التى تؤدى إلى الخرائب ، وكان هناك عدد قليل من الزهريات والفازات ، وانثنى إلى اليسار ولكن راوول أوقفه وقال :

- إنك بقيت هنا ، أنت واليزابيث عندما تعانقتما ، أليس كذلك ؟

- نعم .

- هل كان فى الإمكان رؤيتكما من القصر ؟

- كلا .. فإن المنحنى عال لايسمح برؤية ما وراءه .

- إذن فقد وقفت اليزابيث فى هذا المكان وأنت عائد إلى القصر ؟

- نعم .. إننى أذكر ذلك جيداً .

- وهل التفت إليها عندما بلغت الحديقة .

- نعم .

- وهل رأيتها ؟

- لم أرها فى الحال ولكننى لم ألبث أن رأيتها .

- كان يجب أن تراها فى الحال .. ولكن لاريب أنك رأيتها كما لو إنها خارجة من مكان ما .

- هذا صحيح .

ضحك راوول عندئذ ضحكة خفيفة فسأله المركيز قائلاً :

- لماذا تضحك ؟

ونظرت إليه أنتونين هى الأخرى متسائلة فقال :

- أضحك لأن اللغز الذى تحسبونه معقداً من أسهل الألغاز .. هل كنت تبحث عن الجواهر عند مجيئك إلى القصر كل سنة ؟

- كلا .. فلم يكن هناك أى داع لكى أبحث عنها وقد سرقت .. كنت أبحث عن آثار ترشدنى إلى القاتل .

- أما خطر لك مرة أن الجواهر لم تسرق ؟

- كلا .. ولم يخطر ذلك لجورجريه ولا لرجاله أيضاً .. إن الإنسان لايلقى على نفسه السؤال الحق أبداً ، بل يجرى دائماً وراء الأثر الكاذب .

- وما هو الحق فى رأيك .

ـ الحق هو أن اليزابيث هورنان رأت أن تضع جواهرها في مكان ما ريثما تغنى ثم تستردها ثانية .

ـ هذا مستحيل .. إن الإنسان لايترك ثروة هائلة كهذه فى متناول المارة .

ـ المارة ؟ لم يكن هناك أحد غير المدعوين ، فماذا كانت تخشى ؟

ـ إذا فأنت تظن أنها وضعت الجواهر فى مكان ما ؟

ـ نعم .

ـ ولكننا لم نجدها بعد أن وقعت الكارثة .

ـ ذلك لأنها وضعتها فى مكان لايراه أحد لأول وهلة .

ـ أين ؟

ـ وضعتها فى هذه الزهرية .. إنها فى متناول يدها ، ومن السهل وضع أى شئ فيها .. لم يكن عليها إلا أن ترفع قدميها قليلا وتسقطها داخل الزهرية .. وقد بقيت الجواهر طوال الوقت فنشبت بجوارها بعض الأعشاب وأخفتها .

ـ أرى أنك تتكلم عن ثقة ، كأنك واثق أن الجواهر موجودة .

ـ إننى واثق .. ويمكنك أن تتأكد أنت بنفسك .

تردد المركين، ثم رفع قدميه قليلاً ومد يده وبحث فى قاع الزهرية ، وتمتم يقول فى انفعال :

ـ نعم .. نعم .. إننى أجدها .. يا إلهى !

واستولى عليه انفعال كبير، وأخرج الجواهر، وكانت خمسة عقود ، فتمتم يقول :

ـ هناك عقد ناقص .. لقد كانت ستة .

وفكر هنيهة ثم قال : ينقص العقد الذى أهديتها إياه .. هذا غريب غريب أن يسرق عقد ويترك السارق العقود الأخرى .

وبينما كان يقول ذلك تمتم المفتش يحدث نفسه : إنه هو الذى سرقه : إنه يتظاهر أمامنا بأنه ساحر فى حين أنه فتش هذه الزهرية فى الواقع منذ يوم أو يومين .

على أن المركيز مالبث أن نسى العقد وتحول إلى راوول وقال :

- والآن ، اشرح لنا كيف ماتت اليزابيث .

- إن الطبيعة هى التى قتلتها ياسيدى المركيز.. هناك مذنب فى السماء يعرف باسم "مذنب الجبار" يرسل مقذوفاته مرة كل عام.. وقد اتفق أن أرسل هذه المقذوفات بينما كانت اليزابيث واقفة تغنى فأصابتها حجرة حادة فى كتفها جرحتها وصعقتها على الفور.. هذه هى المسألة ياسيدى المركيز.. وهذا هو السر فى هذه الجريمة الغامضة .

وتحول إلى جورجريه وقال له : أرجو أن يكون تفسيرى هذا قد أقنعك أيها المفتش: ومهما يكن فقد حفظت القضية .. ولا تنسى أن تبلغ تحيتى لزوزت الحسناء .. وبهذه المناسبة أنوى أن أرحل فى اجازة معها خمسة عشر يوماً بعد ثلاثة شهور .

احتدم جورجريه غضباً وقال : سأكون قد نلت منك قبل ذلك بكثير فإن البيت محاصر ولن تستطيع الإفلات فلا تفكر فى الإفلات بأية محاولة .

قال ذلك ثم هجم على راوول ، ولكن هذا الأخير عاجله بلكمة طرحته صريعاً ثم تحول إلى أنتونين وإلى المركيز ديرلون ، وأحنى رأسه قائلاً :

- الوداع يا آنسـة .. الوداع ياسيـدى المركـيـز .. أرجـو أن تمزق الشيك الذى أعطيته لك وأن تحتفظ بالقصر فقد عادت إليك ثروتك .

ثم ضحك ، وتحول إلى جورجريه ، وكان قد أغمى عليه وقال :

- إلى اللقاء ياجورجريه .. تحياتى إلى زوزت .

ثم سـار نحـو الخندق سـار فى منحنى طويل ، وقبل أن يدور مع المنحنى رفع رأسه ولوح بيده إلى المركيز والفتاة مودعاً ثم اختفى .

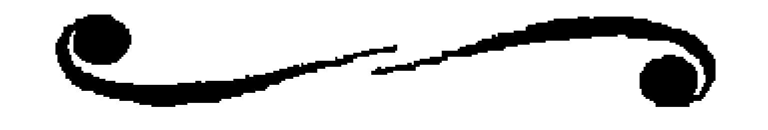
وبعد أن سار هنيهة ألفى كلارا تنتظره فى سيارته فصعد بجوارها وانطلقت بهما السيارة وهما يتعانقان .

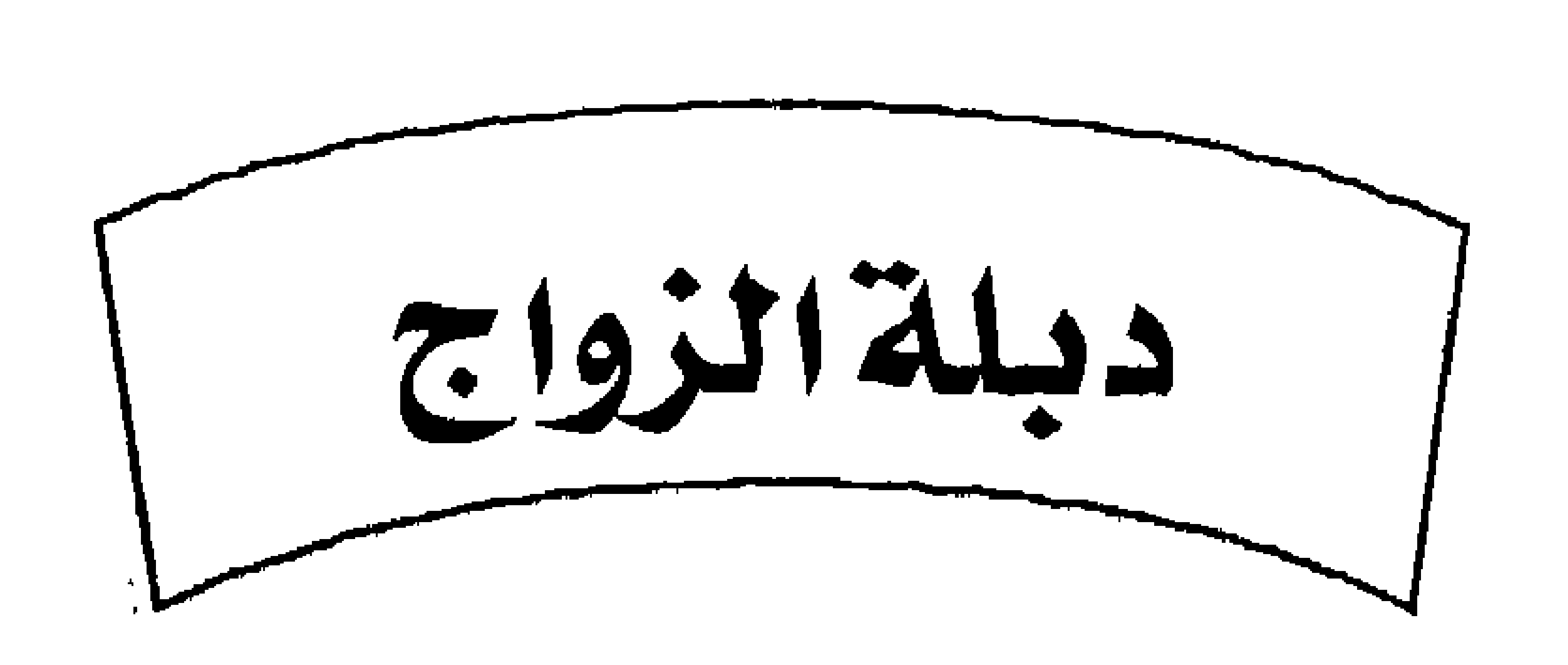
• • •

قد لا تكون هناك جدوى من أن نقول أنه بعد ثلاثة شـهور من ذلك اليوم غادرت زوزت بيت الزوجية ولم تعد إلا بعد خمسة عشر يوماً من غير أن تدلى بأى تفسير لجورجريه .. وكان كل ما قالته له هو :

- ها أنذا قد عدت ، فهل تريدنى أم لا .

كانت شديدة الفتنة والمرح بعد عودتها كما لم تكن أبداً فى أى يوم مضى .. وكانت متألقة العينين يطفح وجهها بالسرور والسعادة .. وانبهر جورجريه وهو يراها هكذا وفتح لها ذراعيه وهو يسألها الصفح .





عانقت ايفون دوريني إبنها وأوصته بأن يلزم جادة العقل ، وقالت :

ـ أنت تعرف أن جدتك دوريني لاتحب الأطفال كثيراً ، وحيث أنها طلبت أن تذهب إليها هذه المرة فيجب أن تثبت لها أنك صبي عاقل .

وتحولت إلى المربية وخاطبتها قائلة :

ـ على الخصوص يافرولين ، أعيديه بعد العشاء على الفور.. ألايزال السيد هنا ؟

ـ نعم ياسيدتي .. السيد كونت في مكتبه .

وما أن ألفت ايفون نفسها وحدها حتى مشت إلى النافذة لكي ترى ابنها وهو خارج.. والواقع أنه خرج من البيت بعد لحظة ، ورفع رأسه .. وأرسل إليها قبلات كما يفعل كل يوم .. ثم أخذته المربية من يده بحركة خشنة أدهشت ايفون ، فانحنت أكثر.. وعندما وصل الصبي إلى الناصية رأت فجأة رجلاً يهبط من سيارة ويقترب منه ، عرفت فيه برنار الخادم موضع ثقة زوجها .. وأمسك الرجل الصبي من ذراعه ، وأركبه السيارة هو والمربية ، وأمر السائق أن ينطلق .

حدث كل هذا في عشر ثوان .

واستولى الاضطراب على ايفون ، وأسرعت إلى غرفتها وأمسكت بثوب وتوجهت نحو الباب .

كان الباب موصداً بالمفتاح ، ولم يكن المفتاح بالقفل .

وعادت سرعة إلى غرفتها .

وكان باب غرفتها موصداً هو الآخر .

وعلى الفور صدمتها صورة زوجها ، بوجهه الكئيب الذى لم يعرف الابتسام أبداً ، وبنظراته القاسية حيث كانت تحس فيها منذ سنين بالكثير من الكراهية والحقد .. وقالت تحدث نفسها :

ـ إنه هو .. إنه هو .. آه .. هذا فظيع !

وراحت تدق على الباب بيدها وقدميها .. واندفعت نحو المدخنة ، ودقت الجرس ، وراحت تدقه فى جنون .. ودوى رنينه فى أرجاء القصر .. سوف يأتى الخدم .. وربما يتجمع بعض المارة فى الشارع .. وظلت تضغط على الجرس .

سمعت صوت المفتاح فى القفل .. وانفتح الباب فى عنف ، وظهر الكونت على عتبته ، كانت ملامح وجهه شديدة الفظاعة بحيث راحت ايفون ترتجف .

تقدم .. كانت تفصله عنها خمس أو ست خطوات .. وبذلت جهداً خارقاً فى محاولة للقيام بأية حركة .. ولكن تعذر عليها ذلك .. وحاولت أن تنطق ببعض الكلمات ، ولكنها لم تستطع إلا أن تحرك شفتيها وتصدر منها أصواتاً مبهمة .. وأحست بأنها ضائعة .. وبلبلتها فكرة الموت ، وتخاذلت ركبتاها ، وتهالكت على نفسها وهى تئن وتتأوه .

أسرع الكونت إليها وأطبق بيده على عنقها ، وقال فى صوت أصم : اسكتى .. لاتنادى أحداً .. فهذا خير لك .

وإذ رأى أنها لاتحاول أن تدافع عن نفسها خفف من ضغطه ،

وأخرج من جيبه ضمادات من القماش معدة بقياسات مختلفة .. وفى بضع دقائق أوثق يديها وربط ذراعيها بطول جسدها ومددها فوق الفراش .

وكان الظلام قد غمر الغرفة فأضاء الكونت الكهرباء ، واتجه إلى مكتب صغير اعتادت ايفون أن تضع فيه رسائلها .. وإذا لم يستطع أن يفتحه كسره بآداة حديدية وأفرغ الأدراج ووضع كل ما فيها من أوراق فى علبة ، ثم قال مزمجراً :

- وقت ضائع ، أليس كذلك ؟ لاشئ غير فواتير ، ورسائل لا أهمية لها ، ولا دليل واحد ضدك .. ولم ! هذا لايمنع من أن أحتفظ بابنى ، وأقسم بالله اننى لن أتخلى عنه .

وفيما هو يمضى لحق خادمه برنار به بجوار الباب ، وتحدثا معا فى صوت خافت .. ولكن ايفون سمعت الخادم يقول :

- تلقيت رد العامل الجوهرى ، وهو رهن تصرفى .

وأجابه الكونت : تأجل الموضوع إلى الغد ، بعد الظهر ، فقد اتصلت بى أمى تليفونياً وقالت أنها لاتستطيع المجئ اليوم .

ثم سمعت ايفون صوت المفتاح فى القفل ، ووقع الأقدام وهى تهبط حتى الطابق الأرضى ، حيث يوجد مكتب زوجها .

بقيت جامدة لحظة ، وذهنها حائر تدق فيه أفكار مبهمة وسريعة تحرقه كما لو أنها شعلات من اللهب، وتذكرت السلوك الشائن للكونت دوريني، وتصرفاته المهينة نحوها، وتهديداته ومشاريعه للحصول على الطلاق .. وفهمت شيئاً فشيئاً أنها ضحية مؤامرة حقيقية ، وأن الخدم ، بأمر من سيدهم أخذوا أجازة حتى مساء الغد وأن المربية ، بأمر من الكونت ، وباشتراك برنار اصطحبا الصبى وأن ابنها لن

يأتى ولن تراه أبداً .. وصاحت : ابنى .. ابنى .

أحنقـهـا الألم ، وجمعت كل أعصـابهـا وكل عضـلاتهـا وتوترت فى جـهد خـارق ، وأدهشـهـا أنهـا وجدت أن يدهـا اليمنى مـازالت تحـتفظ ببعض حريتـهـا .

وعندئذ خـامرها أمل مـجنون ، وبدأت عـملية التـخلص من قـيودها فى صـبر وبطء .. وكـان الأمر عسيراً .. وكـان لابد لهـا من وقت طويل لتوسيع العـقدة بما يكفى وبوقت أطول بعد ذلك ، عندمـا خلصت يدهـا من قيدهـا لكى تفك قيود ذراعيها ، ثم القيود التى تربط ساقيهـا .

وكـانت صـورة ابنهـا تشـجـعـهـا .. وعندمـا دقت السـاعـة تشـير إلى الثامنة كانت آخر عقدة قد سقطت وأصـبحت حرة .

ومـا أن وقفت حـتى أسرعت إلى النافذة وفتـحت إحدى مـصـراعيهـا وفى نيـتـهـا أن تسـتنجد بأول عـابر .. وكـان أحـد رجـال الشـرطـة بالذات يتـمـشى على الرصـيـف فـانحنت، ولكن هـواء الليل البـارد لفـحـهـا فى وجـهـهـا .. وبدأت وفكرت فى الفـضـيـحـة وفـى التـحقيق والاسـتـجـوابات وفى ابنـهـا .. ربـاه .. ربـاه .. مـا الـعـمل لكى تسـتـرده ، وكـيف تـهـرب ؟ عند أقـل حـركـة سـيـسـرع الكونت إليـهـا .. ومن يدرى إذا لم يكن فى لحظة من الغضب .

سرت فى كل كيانها رعشة من الـهلع ، امتزج فيها الخوف والموت ، وتمتمت متلعثمة وهى تفكر فى ابنها : النجدة .. النجدة .

ولكنهـا لـم تلبث أن لزمت الصـمت وكـررت أكـثـر من مرة فى صـوت خـافت جدا : النجـدة .. النجـدة ، كمـا لو أن هـذه الكلمـة توقظ فـيـهـا فكرة وذكرى ، وكمـا لو انتظار النجـدة لايبدو لهـا شيئـاً مـستـحـيلاً .. وبقيت غارقة بضـع دقائق فى تفكير عميق، يقطعه النحيب والرعشات ، ثم وبحـركـات ميكانيكيـة ، مدت يدهـا نحـو مكتبـة صـغيـرة مـعلقـة فوق

المكتب ، وأمسكت أربعة كتب ، واحداً بعد الآخر وتصفحتها في شرود ، وانتهت بأن وجدت بين صفحات الكتاب الخامس ، بطاقة وقعت عيناها فيها على هذه الكلمات : هوراس فيلمون ، والعنوان التالي مكتوب بالقلم الرصاص : نادى الشارع الملكى .

واستعادت فى ذهنها الكلمات التى ذكرها لها ذلك الرجل قبل ذلك بسنوات فى نفس هذا القصر ، أثناء إحدى الحفلات .

" إذا اتفق ورأيت نفسك فى خطر ما ، واحتجت إلى مساعدة فلا تترددى .. ضعى فى صندوق البريد هذه البطاقة التى أضمها إلى هذا الكتاب ، ومهما تكن الساعة ، ومهما تكن العقبات فسوف أخف إلى نجدتك " .

نطق بتلك الكلمات بلهجة غريبة، كأنه يوحى بالأمان والقوة والقدرة اللامحدودة والإقدام الذى لايوقفه شئ .

وفجأة ، وبدون أى وعى ، مدفوعة بقرار لايمكن مقاومته ، ورافضة توقع نتائجه ، وبحركات أوتوماتيكية ، أخذت ظرفاً من ظروف البريد المستعجل ، ووضعت البطاقة فيه ، وألصقته ، وكتب السطرين : هوراس فيلمون : نادى الشارع الملكى، واقتربت من النافذة المفتوحة .. وكان الشرطى يتمشى فى الخارج ، فألقت بالظرف ، وتركت الأمر للقدر لعل أحداً يلتقطه ويضعه فى صندوق البريد .

وما ن فرغت من ذلك حتى أدركت سخافة ما أقدمت عليه ، فمن الجنون أن تفترض أن الرسالة ستصل إلى العنوان ، ومن الجنون أكثر أن تأمل أن يخفف الرجل إلى نجدتها مهما تكن الساعة ومهما تكن العقبات .

وحدث رد الفعل عندئذ .. وكان من العنف والقسوة بحيث ترنحت ايفون واعتمدت على مقعد ، وتهالكت وقد فقدت كل حيويتها .

ومر الوقت عندئذ .. الوقت الكئيب لأمسيات الشتاء ، حيث لا يقطع صمت الشارع غير مرور العربات .. وراحت الساعة تدق في غير رحمة .. وفي شبه النعاس الذي خدر حركاتها ، راحت تعد الدقات .. وتناهى إلى سمعها أصوات في طوابق القصر المختلفة عرفت منها أن الكونت تناول عشاءه ، وعاد إلى غرفته ثم هبط إلى مكتبه.. ولكن بدا لها كل ذلك غامضاً ، بحيث أنها لم تفكر في الاستلقاء على الأريكة إذا ما حدث ودخل زوجها .

ودقت الساعة تشير إلى منتصف الليل ، ثم النصف بعد الثانية عشرة .. ثم الواحدة .. ولم تعد ايفون تفكر في شئ منتظرة الأحداث التي ستقع والتي لاتستطيع حيالها تمرداً .. وتصورت ابنها، وتخيلت نفسها وابنها كما يتخيل الإنسان أولئك الذين عانوا الكثير من الألم والذين لايتألمون بعد ويتعانقون بأيديهم الحانية .. ولكن لم يلبث أن هزها كابوس .. فهناك الآن من يريد انتزاعها، الواحد من الآخر، وأحست في هذيانها بأنها تبكي وتحتضر .

ولكن صدرت حركة جعلتها تعتدل .. فقد دار المفتاح في القفل ، لن يلبث أن يظهر الكونت وقد أثارته صيحاتها .. وبحثت بعينيها عن سلاح لكي تدافع به عن نفسها .. ولكن الباب دفع ، وتمتمت مشدوهة، كما لو أن المنظر الذي يطالع عينيها بدا له كمعجزة لاتفسير لها :

ـ أنت .. أنت !

تقدم منها رجل في ثياب السهرة ومعطفه وقبعته تحت أبطه " .

شاب طويل القامة ، أنيق .. عرفته .. كان هوارس فيلمون .

وعادت تقول : أنت !

قال وهو يحييها : التمس معذرتك ياسيدتي .. إن رسالتك جاءتني متأخرة .

ـ هل هذا ممكن ؟ أيمكن أن تكون أنت ؟ وأن تكون قد استطعت .

بدت عليه الدهشة وقال : ألم أعدك بأن أخف إليك عند استنجادك بى ؟

ـ نعم ، ولكن ..

قال وهو يبتسم : حسناً .. هاأنذا .

وفحص الضمادات القماشية التى أفلحت فى التخلص منها ، وهز رأسه وقال وهو مستمر فى فحصه :

ـ هذه إذن الوسائل المستخدمة ؟ الكونت دورينى ، أليس كذلك ؟ .. وأرى أيضاً أنه حبسك .. ولكن الرسالة المستعجلة إذن ؟ .. آه .. من هذه النافذة .. من الحماقة أنك لم تغلقيها .

وأغلق النافذة .. وقالت ايفون فى خوف : قد يسمعنا أحد .

ـ لايوجد فى البيت أحد ، فقد فتشته .

ـ ومع ذلك .

ـ زوجك خرج منذ عشر دقائق .

ـ وأين هو ؟

ـ مضى إلى أمه .. الكونتس دورينى .

ـ وكيف عرفت ذلك ؟

ـ أوه ، بكل سهولة ، فقد تلقى مكالمة تليفونية تقول له أن أمه مريضة ، وكما توقعت ، وحيث اننى أنا الذى تكلمت فى التليفون ، أسرع الكونت بالخروج ، يتبعه خادمه .. ودخلت على الفور مستعيناً بمفتاح خاص .

كان يقول ذلك بلهجة طبيعية جداً كما لو أنه يروى فى أحد

الصالونات الاجتماعية نكتة تافهة .. ولكن ايفون سألته وقد استولى عليها قلق فجائى :

- إذن .. فالأمر ليس حقيقاً .. وأمه غير مريضة .. إذا كان الأمر كذلك فسوف يعود زوجى .

- بالطبع .. سيتحقق الكونت أن هناك خدعه ، وسيكون هنا بعد ثلاثة أربا ع الساعة على الأكثر .

- عفواً .. لا أريد أن يجدنى هنا ، فسوف ألحق بابنى .

- لحظة واحدة .

- لحظة .. ولكن ألاتعرف أنهم اختطفوا ابنى. ولعلهم يؤذونه الآن .

وحاولت ، متجهمة الوجه ومضطربة ، الأعصاب أن تبعد فيلمون ولكنه أرغمها فى رفق كبير على الجلوس وانحنى فوقها فى احترام ، وقال فى صوت رزين :

- اصغى إلى ياسيدتى ، ولاتضيعى وقتاً نحن أحوج إلى كل دقيقة منه .. أول كل شئ تذكرى هذا .. أننا التقينا أربع مرات ، منذ ست سنوات ، وفى المرة الرابعة ،.وفى صالون هذا البيت بالذات ، وبينما كنت أتحدث إليك .. كيف أقول .. فى انفعال كبير ، جعلتنى أشعر أن زياراتى لاتروق لك فلم أرك بعد ذلك أبداً .. ومع ذلك فإن ثقتك بى كانت إلى حد أنك احتفظت بالبطاقة التى تركتها بين صفحات هذا الكتاب ، وأنك بعد ست سنوات لجأت إلى أنا وليس إلى أى شخص آخر .. هذه الثقة مازلت أطالبك بها .. يجب أن تطيعينى طاعة عمياء ، وكما حضرت رغم كل العقبات فسوف أنقذك مهما يكن الأمر .

وجعل هدوء هوراس فيلمون ، وصوته الرزين الرقيق النبرات ، المرأة الشابة تهدأ شيئاً فشيئاً .. ورغم أنها كانت لاتزال ضعيفة ،

فقد أحست من جديد أمام ذلك الرجل بإحساس من الأمان والاطمئنان .. وعاد يقول :

- اخلعي عنك الخوف .. إن الكونتس دوريني تقيم في آخر غابة فنسين ، وعلى فرض أن يجد زوجك عربة فمن المستحيل أن يعود قبل الساعة الثالثة والربع .. والساعة الآن الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين ، وأقسم لك أننا سنكون قد رحلنا في الساعة الثالثة بالتمام وأنني سأمضي بك إلى ابنك .. ولكنني لا أريد الانصراف قبل أن أعرف كل شئ .

قالت : ماذا يجب أن أفعل ؟

- أن تردى على ، بكل وضوح .. أمامنا عشرون دقيقة ، وهذا وقت كاف تقريبا .

- سلني .

- هل تعتقدين أن لدى الكونت نوايا إجرامية ؟

- كلا .

- الأمر إذن يتعلق بابنك ؟

- نعم .

- إنه اختطفه لأنه يريد الطلاق والزواج بامرأة أخرى ، إحدى صديقاتك القدامى التي طردتها من بيتك ، أليس كذلك ؟ أتوسل إليك أن تردى على بدون لف أو دوران، فهذه حقائق معلومة ، ويجب أن تتخلى عن ترددك وحيرتك الآن ، مادام الأمر يتعلق بابنك .. زوجك يريد إذن أن يتزوج امرأة أخرى ؟

- نعم .

- وتلك المرأة لاتملك مالاً ، وزوجك من ناحيته ، قد أفلس ولامورد له

إلا المعــاش الذى تمنحــه له أمــه الكونتس دورينى ، وإيراد الثــروة الكبيرة التى ورثها إبنك من اثنين من أعمامه .. وهو يطمع فى هذه الثروة ، وسيحصل عليها بسهولة إذا عهد إليه بالصبى .. وليس أمامه غير وسيلة واحدة فى سبيل ذلك ، وهى الطلاق .. هل أنا مخطئ ؟

- كلا .

- والذى أوقفه حتى هذه اللحظة هو رفضك ؟

- نعم .. ورفض أمه كذلك ، لأن عقيدتها الدينية لاتقبل الطلاق ، وهى لن تغير رأيها إلا فى حالة ..

- فى حالة .

- إذا استطاع أن يثبت أن سلوكى معيب .

هز فيلمون كتفيه وقال :

- إذن فهو لايستطيع شيئاً ضدك ، ولاضد إبنك .. فمن الناحية القانونية ، ومن ناحية مصالحه سوف يصطدم بعقبة لايمكن تذليلها ، وهى عفة امرأة شريفة .. ومع ذلك فقد بدأ النزال .

- ماذا تعنى ؟

- أعنى أنه إذا كان ، بعد كل هذا التردد ، ورغم كل المستحيلات ، يجازف فى مغامرة غير أكيدة كهذه فذلك لأنه حصل أو لأنه يعتقد أنه حصل على أسلحة ..

- أية أسلحة ؟

- لا أدرى .. ولكنها موجودة وإلا لما بدأ بأن يأخذ منك ابنك .

قالت ايفون يائسة : هذا فظيع .. وهل أعرف أنا ماذا أمكنه أن يفعل ؟ .. وما الذى استطاع اختلاقه ؟

ـ ابحثى جيداً .. استعيدى ذكرياتك .. هل كان فى هذا المكتب الذى اغتصبه وأفرغ محتوياته رسالة ما يمكن أن يستخدمها ضدك مثلاً ؟

ـ أبداً .

ـ وفى كلماته التى ذكرها لك ، وفى تهديداته .. أليس فيها ما يسمح لك بالتخمين ؟

ـ لاشئ .

عاد فيلمون يقول : ومع ذلك .. مع ذلك .. لابد أن هناك شيئاً ما !

واستطرد : أليس للكونت صديق حميم .. يبثه أسراره ؟

ـ كلا .

ـ ألم يأت أحد لزيارتك أمس ؟

ـ لا أحد .

ـ هل كان بمفرده عندما أوثق قيادك ؟

ـ فى ذلك الوقت ، نعم .

ـ وبعد ذلك ؟

ـ انضم إليه خادمه وسمعتهما يتحدثان عن عامل جوهرى .

ـ هل هذا كل شئ ؟

ـ وإن شيئاً سيقع غداً ، أى ظهر اليوم ، لأن الكونتس دورينى لن يمكنها المجيئ قبل ذلك .

فكر فيلمون : أليس لهذا الحديث معنى يمكن أن يرشدك إلى نوايا زوجك ؟

ـ لا أدرى .

ـ أين مجوهراتك ؟

ـ باعها زوجى .

ـ ألم يبق لك منها شئ ؟

ـ كلا .

ـ ولا حتى خاتم ؟

قالت وهى تريه يديها : كلا .. لا شئ غير هذه الدبلة .

ـ أهى دبلة زواجك ؟

ـ هى .. دبلة زواجى ..

وتوقفت مذهولة .. ولاحظ فيلمون إحمرار وجهها وسمعها تغمغم :

ـ أيمكن أن يكون هذا ؟ .. ولكن لا.. إنه لايعرف .

ضيق فيلمون عليها بأسئلته على الفور ، وسكتت ايفون ، جامدة والقلق يعصف بها .. وأخيراً أجابت فى صوت خافت :

ـ هذه ليست دبلة زواجى .. فذات يوم ، منذ وقت طويل أوقعتها من فوق المدفأة ، فى غرفتى حيث كنت قد وضعتها قبل ذلك بدقيقة .. ورغم كل أبحاثى لم أستطع أن أجدها فطلبت دبلة أخرى .. وهى هذه التى فى يدى .

ـ وهل كانت الدبلة الحقيقية تحمل تاريخ زواجك ؟

ـ نعم ٢٣ أكتوبر .

ـ وهذه ، التى فى يدك ؟

ـ ليس بها أى تاريخ ؟

وأحس لديها بتردد يسير ، ورجفة لم تستطع إخفاءها فصاح :

ـ أرجوك ، لاتخفى عنى شيئاً.. إنك ترين الآن الطريق الذى اتبعنا

فى بضع دقائق، وبقليل من الجرأة والمنطق .. فلنستمر ، أرجوك .

قالت : هل أنت واثق من ضرورة ذلك ؟

- إننى واثق أن أقل نقطة لها أهميتها ، وأننا نوشك أن نصل إلى النهاية .. ولكن يجب أن نسرع فالوقت خطير .

قالت وهى ترفع رأسها : ليس هناك ما أخفيه .. كان ذلك فى أتعس وأخطر وقت فى حياتى ، فقد كنت مهانة فى بيتى، ومحاطة فى الدنيا بالاحترامات والإغراءات والشراك ، ككل امرأة يهجرها زوجها .. وتذكرت عندئذ .. أحبنى رجل قبل زواجى ، وقد مات بعد ذلك ، فحفرت اسمه ولبست هذه الدبلة كما لو أنها تعويذة ، ولم يكن حبه فى قلبى لأننى كنت زوجة رجل آخر، ولكن كانت هناك ذكرى ، فى سويداء قلبى ، وحلم ممزق .. شئ حلو كان يحمينى .

تكلمت فى بطء ، وبدون اضطراب عاد القلق يعصف بها وسألته :

- هل تعتقد أن زوجى ؟

أخذ يدها وقال وهو يفحص الدبلة :

- إن اللغز هنا .. لا أدرى كيف عرف زوجك بأمر استبدال الدبلة ، وستأتى أمه فى الظهر، وأمام الشهود سيضطرك إلى أن تخلعى هذه الدبلة من أصبعك ليحصل فى نفس الوقت على موافقة أمه والطلاق ، مادام سيكون لديه الدليل الذى كان يبحث عنه .

تأوهت قائلة : إننى ضائعة .

- بل نجوت على العكس .. اعطينى هذه الدبلة .. بعد قليل سيجد فى أصبعك دبلة أخرى سأرسلها إليك قبل الظهر، وسيكون بها تاريخ ٢٣ اكتوبر .. وبذلك ..

وأمسك فجأة ، فبينما كان يتكلم وضعت ايفون يدها فى يده ،

وكانت باردة ، فرفع عينيه ورأى المرأة الشابة شاحبة اللون جداً ، فسألها :

ـ ما الخبر ؟ .. تكلمى ، أرجوك .

أجابت وقد تملكها يأس قاتل :

ـ قلت لك أننى هالكة .. ذلك أننى لا أستطيع أن أخلع هذه الدبلة ، فقد أصبحت صغيرة جداً .. هل تفهم ؟ لم يكن لذلك أية أهمية ، ولم أحفل بالأمر .. ولكننى اليوم.. وهذا الدليل .. وهذا الاتهام .. آه .. ياله من عذاب .. انظر .. انه أصبح جزءاً من أصبعى والتحم باللحم ولا أستطيع .. لا أستطيع .

وراحت تشد الدبلة من أصبعها بكل قوة ، مجازفة بأن تجرح نفسها ، ولكن اللحم تضخم حولها فلم تتحرك قيد أنملة .. وتمتمت وقد راعتها فكرة :

ـ آه .. إننى أتذكر .. فى ذات ليلة .. كان الأمر كأنه كابوس .. خيل إلى أن أحداً دخل غرفتي وأمسك بيدى ، ولم أستطع أن أصحو .. كان هو .. كان هو .. خدرنى ، وأنا واثقة من ذلك ، وراح ينظر إلى الدبلة ، وسينتزعها من اصبعى أمام أمه .. إننى أفهم كل شئ الآن .. العامل الجوهرى .. هو الذى سيقطعها وهى فى إصبعى .. أرأيت .. إننى هالكة .

وأخفت رأسها بين راحتيها وأخذت تبكى .. ودقت الساعة دقة أولى فقطعت الصمت ثم دقة ثانية فثالثة .. واعتدلت ايفون على الفور وقالت : ها هو .. سوف يأتى .. إن الساعة الثالثة الآن .. فلنهرب .

ـ لن تغادرى البيت .

ـ وأين .. أريد أن أراه .. وأن أسترده .

- وهل تعرفين أين هو ؟

- أريد أن أرحل .

- لن ترحلى .. فإن ذلك يعد جنوناً .

وأمسكها من معصميها .. وأرادت أن تتخلص منه .. ولكن فيلمون اضطر إلى استعمال شئ من الخشونة لكى يتغلب على مقاومتها .. وأفلح أخيراً فى أن يعيدها إلى الأريكة ثم مددها ، وعلى الفور ، ودون أن يعيرها أى اهتمام أخذ الضمادات وقيد ذراعيها وساقيها، وهو يقول : نعم .. إن ذلك ليكون جنوناً .. فمن الذى خلصك ؟ ومن الذى فتح لك الباب ؟ شريك طبعاً .. ويالها من حجة ضدك ! وسيعرف زوجك كيف يستخدمها أمام أمه .. ثم ، ما الجدوى ؟ إن هربك معناه أنك توافقين على الطلاق .. ومن يدرى كيف ستكون النهاية .. يجب البقاء هنا .

راحت تنتحب ، وقالت :

- إننى خائفة .. خائفة .. هذه الدبلة تحرق اصبعى .. اكسرها .. اكسرها .. خذها .. لا أريد أن يجدها أحد معى .

- وإذا لم يجدوها فى إصبعك ، فمن هو الذى أخذها ؟ شريك بالطبع .. كلا .. يجب النضال .. وبشجاعة ، مادمت أضمن كل شئ .. ولو اضطررت أن آتى أنا نفسى قبل الظهر.. سيجدون فى إصبعك دبلة الزواج .. وأقسم على ذلك .. وسيرد ابنك لك .

وأذعنت وقد تغلبت على خوفها .. وراحت هى نفسها تساعده فى عمله .. وعندما نهض كانت موثقة كما كانت منذ قليل .

وفحص الغرفة لكى يتأكد من عدم وجود شئ يدل على تواجده ، ثم انحنى من جديد نحو المرأة الشابة وتمتم : فكرى فى ابنك ، ولاتخشى

شيئاً مهما يحدث .. فإننى ساهر عليك .

وسمعته وهو يفتح باب المخدع ويغلقه ثم الباب العمومى بعد بضع دقائق .

وفى الساعة الثالثة والنصف توقفت سيارة .. وانصفق الباب العمومى من جديد ، ولم تلبث ايفون أن رأت زوجها يدخل مسرعاً وهو غاضب ، وأسرع نحوها ، وتأكد من أنها لازالت موثقة ، وأمسك يدها وتحقق من وجود الدبلة .. وأغمى عليها .

لم تعرف بالتدقيق عندما عادت إلى رشدها كم بقيت نائمة .. ولكن نور النهار كان يملأ المخدع ، ولاحظت عند أول حركة قامت بها أن قيودها قد قطعت ، فأدارت رأسها ، ورأت زوجها بجوارها ، ينظر إليها .. فتأوهت قائلة : ابنى .. ابنى .. أريد ابنى .

ـ ابننا فى مكان أمين ، والأمر لايتعلق به الآن .. وإنما بل أنت .. لعل كلا منا يقف أمام الآخر لآخر مرة دون شك .. والحوار الذى سيدور بيننا خطير جداً ، ويجب أن أخبرك أنه سيقع أمام أمى ، فهل ترين مانعاً ؟

أجابت وهى تحاول أن تخفى ارتباكها : كلا .

ـ هل أستطيع أن أدعوها ؟

ـ نعم .. دعنى فى انتظار ذلك .. سأكون مستعدة عندما تأتى .

ـ إن أمى هنا .

صاحت ايفون مضطربة .. وهى تتذكر وعد هوراس فيلمون : أمك هنا ؟

ـ نعم .. وتريد الآن أن ..

ـ ولماذا لا يكون ذلك الليلة .. أو غداً ؟

قال الكونت : بل اليوم ، والآن .. فقد حدث خلال الليل حادث غريب لا أستطيع تفسيره .. حملونى على الذهاب إلى أمى فى غرض واضح وهو إبعادى من هنا .. ولهذا قررت أن أقدم لحظة التفسير .. ألا تريدين أن تأكلى شيئاً قبل ذلك ؟

ـ كلا .. كلا ..

ـ سأمضى إذن لكى آتى بأمى .

واتجه نحو غرفة ايفون .. وألقت هذه الأخيرة نظرة إلى الساعة .. كانت تشير إلى العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثين .. وقالت ورعشة من الذعر تسرى فى بدنها : آه .

العاشرة والدقيقة الخامسة والثلاثون ! لن ينقذها هوراس فيلمون ولن ينقذها أى شئ فى العالم لأنه لاتوجد معجزة يمكن أن تخفى الدبلة من يدها .

وعاد الكونت مع الكونتس دورينى ، ورجاها أن تجلس .. كانت امرأة جافة ، فظة الطباع لم تحيى زوجة ابنها وطالما أبدت نحوها مشاعر عدائية .. وقالت :

أظن أنه لاداعى لإطالة الكلام .. إن ابنى يزعم ..

قال الكونت : أنا لا أزعم شيئاً يا أمى ، وإنما أتكلم عن يقين .. وأؤكد تحت القسم أنه منذ ثلاثة شهور ، وأثناء الأجازات ، بينما كان المنجد يقوم بفرش السجاجيد فى هذه الغرفة وفى المخدع عثر فى أحد شقوق الباركية على دبلة الزواج التى أعطيتها لزوجتى .. وهذه الدبلة ها هى ، وتاريخ ٢٣ أكتوبر محفور بداخلها .

قالت الكونت : إذن فالدبلة التى فى أصبع زوجتك .

ـ إنها أوصت بصناعتها بدلاً من الحقيقية ، وبناء على تعليمات

توصل برنار ، خادمي الخاص ، بعد أبحاث طويلة إلى العثور في ضواحي باريس على الجوهري الذي لجأت إليه ، وهذا الرجل يتذكر تماماً ، وهو على استعداد لكي يشهد بأن عميلته لم تطلب منه أن يحفر لها تاريخاً وإنما اسماً .. وهو لايتذكر هذا الاسم ، ولكن لعل العامل الذي كان يعمل لديه في محله يتذكره .. وأرسلت خطاباً إلى هذا العامل ، وأجابني أمس بأنه رهن تصرفي .. ومضى برنار في نحو الساعة العاشرة من صباح اليوم لكي يبحث عنه ، وهما ينتظراني معاً ، في مكتبي .

وتحول إلى زوجته وسألها : أتريدين بكامل إرادتك أن تعطيني هذه الدبلة .

قالت : أنت تعرف تماماً منذ الليلة التي حاولت أخذها من إصبعي خفية عني إن من المستحيل انتزاعها من يدي .

- هل أستطيع في هذه الحالة أن أصدر أمري لكي يصعد ذلك الرجل .. إن معه الأدوات اللازمة .

قالت في صوت واهن : نعم .

كانت قد استسلمت ، وفي شئ من الخيال رأت المستقبل والفضيحة والطلاق ، والقاضي يعهد بالصبي إلى أبيه .. وقبلت كل هذا وهي تفكر في أنها ستخطف إبنها وترحل معه إلى آخر الدنيا ، وإنهما سيعيشان معاً ، سعيدين .. وقالت حماتها :

- لقد كنت طائشة حقاً يا ايفون .

أوشكت ايفون أن تعترف لها وأن تطلب حمايتها .. ولكن ما الفائدة ؟ كيف يمكن أن تصدق أن الكونت دوريني يمكن أن تصدق أنها بريئة .. فلم تنطق .

على أن الكونت لم يلبث أن دخل يتبعه خادمه ورجل يحمل فى يده حقيبة .. وقال له الكونت : أنت تعرف ما يراد منك .

قال العامل : أوه ، نعم .. دبلة حشرت جداً ولابد من قطعها .. هذا أمر سهل .. مجرد حزة من الكلابة .

وسترى بعد ذلك إن كان الحفر الذى بداخله قد تم حفره بواسطتك

نظرت ايفون إلى الساعة .. كانت الحادية عشرة إلا عشر دقائق .

خيل إليها أنها تسمع فى مكان من البيت أصواتاً تتجادل ، وأحست رغماً عنها بالأمل يراودها من جديد .. لعل فيلمون أفلح .. ولكن عندما عادت الأصوات مرة أخرى أدركت أن بعض الباعة المتجولين كانوا ينادون على بضاعتهم تحت نافذة البيت ، وأنهم ابتعدوا .

انتهى الأمر .. لم يستطع هوراس فيلمون إنقاذها . وأدركت أنها ، لكى تجد ابنها فلابد أن تلجأ إلى وسائلها هى بالذات ، لأن وعود الغير لايمكن الاعتماد عليها .

وأبدت حركة تراجع ، فقد رأت على يدها يد العامل القذرة .. وأغاظتها هذه الملامسة البغيضة .. واعتذر الرجل فى ارتباك .. وقال الكونت لزوجته : ومع ذلك فيجب أن تقررى .

وعندئذ مدت يدها الرقيقة والمرتعشة.. وأمسكها العامل من جديد ، وأدارها، ضغط راحتها المفتوحة فوق المائدة .. وأحست ايفون ببرودة الصلب ، وتمنت الموت فجأة .. وما أن خطرت لها فكرة الموت حتى فكرت فى السموم التى ستشتريها والتى ستساعدها على الغيبوبة .

وكانت العملية سريعة .. وأبعدت طرفا الكلابة اللحم ووجدتا مكانا يكفى لقضم الدبلة.. وكان جهداً قاسياً .. وانشطرت الدبلة ولم يعد

هناك إلا تخليص الأصبع منها .. وهذا ما فعله العامل .

وصاح الكونت فى انتصار : أخيراً .. سنعرف .. الدليل هنا ، ونحن جميعاً شهود .

واختطف الدبلة ونظر إلى الحفر ، وما كاد يفعل حتى أفلتت منه صيحة دهشة .. فقد كان بالدبلة تاريخ زواجه بايفون : ٢٣ اكتوبر .

• • •

كنت جالساً أنا ولوبين فى شرفة كازينو مونت كارلو .. وإذ فرغ من قصته ، أشعل سيجارة وأطلق سحابات من الدخان نحو السماء الزرقاء .. وقلت له :

ـ حسناً ؟

ـ ماذا ؟

ـ كيف هذا ؟ .. ولكن نهاية المغامرة طبعاً .

ـ نهاية المغامرة ؟ ولكن ليس هناك نهاية غيرها .

ـ هل تمزح ؟

ـ أبداً .. ألاتكفيك هذه النهاية ؟ نجت الكونتس ، فلم يستطيع الزوج الحصول على أى دليل ضدها واضطرته أمه إلى العدول عن طلب الطلاق ، وإلى إعادة الصبى .. هذا كل شئ .. ومنذ ذلك اليوم هجر زوجته ، وتعيش هذه الأخيرة سعيدة مع ابنها ، وهو الآن فتى فى السادسة عشرة من عمره .

ـ نعم ، نعم .. ولكن كيف نجت الكونتس ؟

ضج لوبين بالضحك وقال : اى صديقى العزيز .. وأحياناً يتنازل لوبين ويدعونى هكذا .. اى صديقى العزيز ، قد تكون لك موهبة فريدة فى سرد مغامراتى، ولكن يجب وضع النقط فوق الحروف .. أقسم لك

أن الكونتس لم تكن بحاجة إلى أى تفسير .

قلت وأنا أضحك : أرجو أن تضع النقط فوق الحروف .

أخرج من جيبه قطعة من فئة الخمسة فرنكات ، وأطبق يده عليها وقال : ماذا فى يدى ؟

- قطعة نقود بخمسة فرنكات .

فتح يده فإذا بقطعة النقود ليست بها .

- أرأيت كم أن الأمر سهل .. عامل جوهرى يقطع بالكلابة دبلة محفور عليها اسم ، ولكنه يقدم دبلة أخرى محفور عليها تاريخ ٢٣ أكتوبر .. إنه نوع من خفة اليد .. وعندى ، فى قاع حقيبتى الدبلة الأخرى مع كثير غيرها من الأشياء العجيبة .. إننى عملت ستة شهور مع الجوهرى المعروف بيكمان .

- ولكن .

- تكلم .

- العامل الجوهرى ؟

- كان هوراس فيلمون بنفسه .. كان ذلك الشهم لوبين .. بعد أن غادرت الكونتس انتهزت البضع دقائق المتبقية قبل مجيئ الكونت وتفقدت مكتبه ، ووجدت فوق المكتب الرسالة التى أرسلها إليه العامل الجوهرى ، وكان بها عنوانه ، فاستطعت أن أحل محله بفضل بعض الأوراق المالية ، وأتيت إلى القصر ومعى دبلة مشطورة نصفين ومحفورة مسبقاً ، وقمت بعمل الدجالين ، ولم يفطن الكونت إلى شئ .

- صحت : هذا عجيب .

وأردفت فى شئ من السخرية ، بدورى :

- ولكن ألاتظن أنت نفسك أنك انخدعت فى هذه المناسبة ؟

- آه .. وممن ؟

- من الكونتس طبعاً .

- وكيف ذلك ؟

- عجبا .. ذلك الاسم المحفور كتعويذة .. ذلك الشاب الغامض الذى أحبها وتألم من أجلها .. كل هذا يبدو لى غير معقول .. وإننى أتساءل إن لم تكن قد وقعت فى قصة غرامية لأنها ليست بريئة تماماً .

نظر لوبين إلى شذراً وقال : كلا .

- وكيف تعرف ذلك ؟

- إذا كانت الكونتس قد غيرت الحقيقة عندما قالت إنها عرفت رجلاً قبل زواجها وأنه مات ، وإذا كانت قد أحبته من سويداء قلبها فإن لدى على الأقل الدليل على أن هذا الحب مثالياً وأنه من ناحيته هو لم يشك فى ذلك لحظة واحدة .

- وما هو ذلك الدليل ؟

- إنه محفور داخل الدبلة التى انتزعتها أنا نفسى من أصبعها والتى معى .. ها هى .. يمكنك أن تقرأ الاسم الذى حفرته فيها .

وأعطانى الدبلة وقرأت : هوراس فيلمون !

سادت بينى وبين لوبين لحظة صمت .. وإذ نظرت إليه لاحظت على وجهه شيئاً من الانفعال الحزين .. فقلت له : لماذا قررت أن تسرد على هذه القصة .. التى أشرت إليها أمامى أكثر من مرة .

- لماذا ؟

وأشار بإصبعه إلى امرأة مازالت جميلة جداً مرت أمامنا متأبطة ذراع شاب ، ورأت لوبين فحيته .. وتمتم : إنها هى .. هى مع ابنها .

ـ إذن فقد عرفتك ؟

ـ إنها تعرفنى دائماً ، مهما يكن تنكرى .

ـ ولكن بعد سرقة قصر تيبر مسنبل أثبت البوليس أن هوراس فيلمون هو أرسين لوبين .

ـ أجل .

ـ هى تعرف إذن من أنت !

ـ طبعاً .

صحت رغماً عنى : ومع ذلك فهى تحبك .

امسكنى من ذراعى فى عنف وقال :

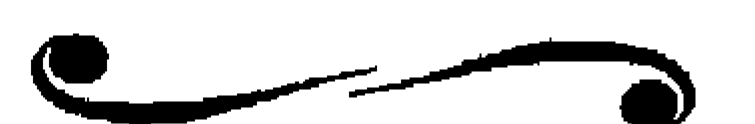
ـ هل تظن إذن اننى أرسين لوبين بالنسبة لها ؟ هل تظن اننى ، فى عينيها ، لص ووغد ومحتال .. لو أننى آخر الأشقياء ولو أننى أقتل فإنها لتحبنى دائماً .

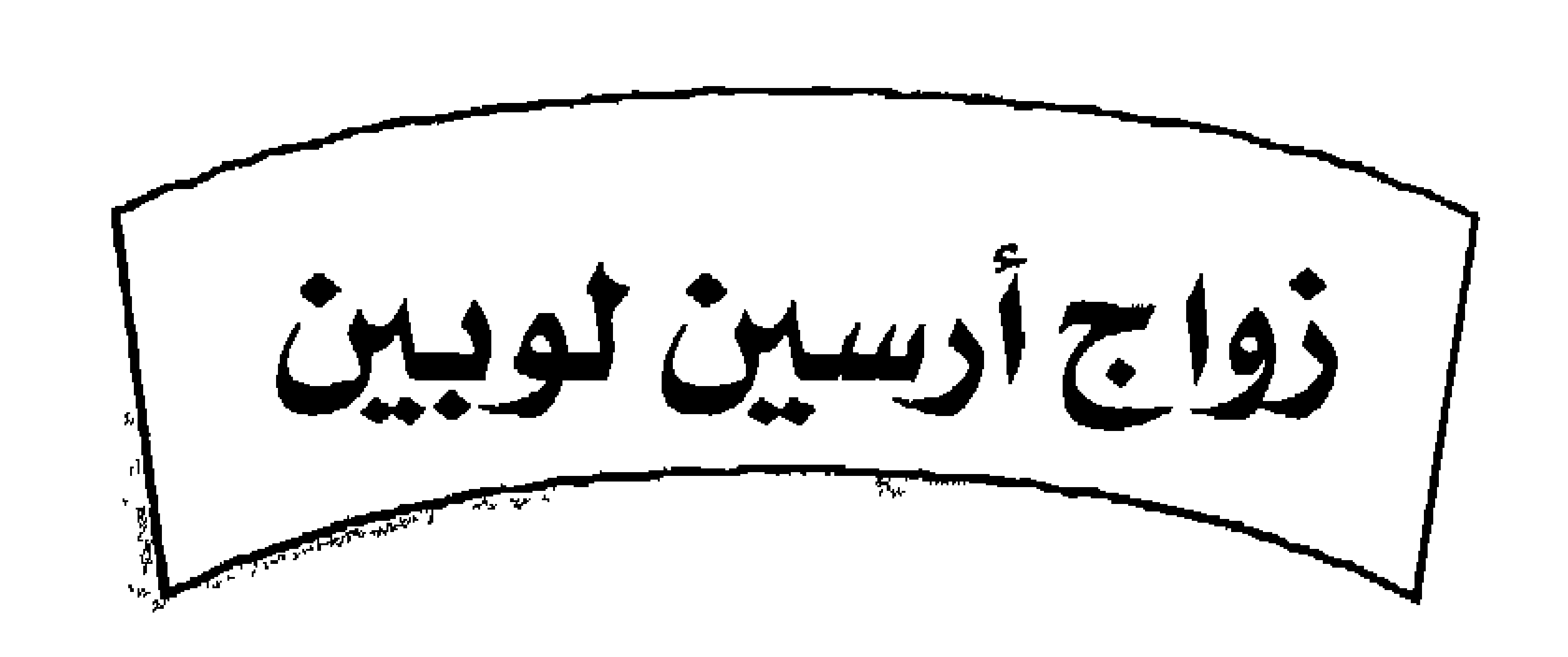
ـ لماذا ؟ .. الأنها أحبتك ؟

ـ دعك من هذا الهذر.. بل إن هذا ليكون ، على العكس ، سبب آخر لكى تحتقرنى .

ـ وإذن ؟

ـ أنا الرجل الذى أعاد إليها ابنها .





"يتشرف مسيو أرسين لوبين بدعوتكم لحضور حفل زواجه بالآنسة أنجليك دى سارزو فندوم أميرة بوربون كونديه ، وذلك فى كنيسة سان كلوتيلد" .

• • •

" يتشرف الدوق دى سارزو فندوم بدعوتكم لحضور حفل زواج ابنته أنجليك ، أميرة بوربون كونديه بمسيو أرسين لوبين ، ويرجوكم "

• • •

لم يستطع الدوق جان دى سارزو فندوم إتمام قراءة الخطابين اللذين يمسكهما فى يده المرتعشة .. وامتقع وجهه من فرط الغضب ، وسرت الرعشة فى جسده الهزيل، وكاد يختنق .

وقال لابنته وهو يناولها الورقتين : هذا ما تلقاه أصدقاؤنا، وحديث الناس فى الشوارع منذ أمس، فما رأيك فى هذه الفضيحة ياأنجليك ؟ وماذا كان يخطر لأمك المسكينة لو أنها كانت لاتزال على قيد الحياة .

كانت أنجليك طويلة القامة ، نحيلة الجسم كوالدها ، معروقة وجافة مثله ، فى الثالثة والثلاثين من عمرها، ترتدى دائماً ثوباً من الصوف ، أسود اللون خجولة ومنطوية على نفسها.. لها رأس صغيرة مضغوطة من اليمين ومن الشمال ، ينبثق منها أنف كما لو أنه يحتج على مثل ذلك الضيق ، ومع ذلك فما كان من الممكن أن يقال أنها دميمة حيث

أن عينيها جميلتان يطل منهما الحنان والوفاء والكبرياء والحزن إلى حد ما من تلك العيون الساحرة التى لاينساها المرء إذا رآها .

اصطبغ وجهها خجلاً فى البداية ، وهى تسمع أباها وتعلم منه بالفضيحة التى تعرض لها .. ولكنها كانت تحبه رغم قسوته عليها وظلمه واستبداده .

وقالت :أوه .. أظن أنها دعابة يا أبى.. ولايجب أن تلقى إليها بالاً .

- دعابة .. ولكن الجميع يتحدثون عنها، وجرائد صباح اليوم نشرت هذه الدعوة المهينة ، وعلقت عليها بتعليقات ساخرة وتتظاهر بأنها تأخذ المسألة مأخذ الجد .

- ومع ذلك فلايمكن لأحد أن يصدق .

- لايمكن ذلك طبعاً ، ولكن هذا لايمنع من أننا أصبحنا أضحوكة باريس .

- سوف ينسون الأمر غداً .

- سيذكرون غدا يا ابنتى أن اسم أنجليك دى سارزو فندوم قد تناوله الناس أكثر مما يجب آه .. لو أستطيع أن أعرف من الوغد الذى سمح لنفسه .

فى هذه اللحظة دخل خادمه الخاص "هيا سنت" الغرفة .. وأخبره أن هناك من يطلبه فى التليفون ، فتناول السماعة وهو يغلى من الغضب وصاح : من المتكلم ؟ .. نعم ، أنا الدوق دى سارزو فندوم .

قيل له : أود أن أعتذر لك ياسيدى الدوق ، كما أود أن اعتذر (للآنسة أنجليك .. ذلك) إن سكرتيرى اخطأ .

- سكرتيرك ؟

- نعم ، فإن دعوات الزواج لم تكن إلا مشروعاً كنت أريد استطلاع

رأيك فيه قبل طبعها ، ولكن لسوء الحظ اعتقد سكرتيرى .

- ولكن من أنت أيها السيد ؟

- ألم تعرف صوتي أيها الدوق .. صوت صهرك ؟

- ماذا ؟

- أنا أرسين لوبين .

تهالك الدوق فوق مقعد وقد امتقع وجهه .. وابتسمت أنجليك وقالت : أرأيت يا أبى أن الأمر ليس إلا مجرد دعابة ومزحة .

ولكن الدوق نهض وراح يمشى جيئة وذهابا وهو يلوح بيده ، وقد استبد به الغضب وقال :

- سأقدم شكوى .. لايمكن أن أترك هذا الشخص يسخر منى .. إذا كانت لاتزال هناك عدالة ، فيجب أن تتصرف .

ودخل "هيا سنت" مرة ثانية ومعه بطاقتان ، وقال الدوق :

- شوتوا .. لابيتى .. إننى لا أعرفهما .

- أنهما صحفيان ياسيدى الدوق .

- ماذا يريدان منى ؟

- يريدان مقابلة سيدى الدوق .. بخصوص .. الزواج .

صاح الدوق : اطردهما .. وقل للبواب أن لايسمح بدخول أحد من هؤلاء الرعاع .

جازفت أنجليك وقالت : أرجوك يا أبى .

- دعينى وشأنى يا ابنتى .. لو أنك وافقت فيما سبق على الزواج بأحد أبناء عمومتك لما وقع هذا .

وفى مساء نفس اليوم نشرت إحدى الصحف فى الصفحة الأولى

قصة خيالية لأحد محرريها تكلم فيها عن زيارته للقصر العتيق لأل سارزو فندوم بشارع دى فارين ، وأسهب مجاملاً فى وصف غضب النبيل العجوز واحتجاجاته .

وفى صباح اليوم التالى نشرت جريدة أخرى حديثاً لأرسين لوبين زعم أنه دار فى أحد أروقة مسرح الأوبرا يقول فيه :

- إننى أشاطر صهرى المقبل فى سخطه ، فإن إرسال هاتين الدعوتين دل على عدم لباقة لست مسئولاً عنها ، وأتمسك بالاعتذار عنها خاصة وأن موعد الزواج لم يحدد بعد ، فإن صهرى يقترح أن يكون فى أول مايو فى حين أننى وخطيبتى نجد أن هذا التاريخ بعيد جداً وأنه ليس من المعقول أن ننتظر ستة أسابيع .

والأمر الذى جعل هذه القصة مادة لسخرية أصدقاء الدوق وتهكمهم هو أنهم يعرفون طبع الدوق نفسه وكبرياءه ، وإصراره على آرائه ومبادئه ، فهو آخر سلالة آل بوربون كونديه ، وهى أسرة من أعرق الأسر فى مقاطعة بريتانى ، والحفيد الأصغر لدى سارزو الذى تزوج من إحدى بنات أسرة فندوم ، وقضى عشر سنوات فى سجن الباستيل لرفضه اللقب الجديد الذى فرضه عليه الملك لويس الخامس عشر ، فلم يتخل الدوق عن أى من آرائه فى النظام القديم ، وقد رافق فى شبابه الكونت دى شامبور فى المنفى .. ورفض فى شيخوخته مقعداً فى قصر بوربون بحجة أن فرداً من أفراد سارزو لايمكن أن يجالس إلا النبلاء .

أصابته تلك المغامرة فى الصميم ، وراح يسب ويلعن لوبين علانية ، ويهدده بالويل والثبور ويلوم ابنته ويعنفها .

- لو أنك تزوجت .. ومع ذلك فلا غبار عليهم ، فإن أبناء عمومتك موسيه ، ودامبواز وكاورس نبلاء كرام وأغنياء جداً ولايريد أى منهم

إلا أن يتــزوجك ، فلمــاذا ترفـضــينهم ؟ آه .. ذلك أن الآنســة حــالمة وعاطـفيـة ، وأولاد عـمومـتـهـا فـواحـد سمين جـداً والثـانى هزيل جداً والثالث جلف .

وكانت أنجليك فتاة تعيش مـع أحلامـها فـعلاً ، وقد قضت طفولتها وحيدة وانكبت على قراءة كتب الفروسيـة والروايات العاطفيـة ، وكانت ترى الحـياة كإحدى قـصـص الحـوريات حيث تعيش فـيـها الفـتيـات الجميلات في سعـادة دائمة . فى حين أن الأخريات من غير الجمـيلات ينتظرن حتى توانيهن المنية الفارس الذى لايأتى .. فلماذا تتزوج بأحد أبناء عمومتـها ، وكل منهم لاهدف له إلا مهرها والملايين التى تركتها لها أمـها .. أولى بها أن تبقى بدون زواج ، وأن تقضـى بقية حياتها فى أحلامها .

وأجابت فى رفق : إنك ستضر بصحتك يا أبى ، فأنس هذه القصة السخيفة .

ولكن كيف يتسنى له أن ينسـاها ، وكل يوم يحدث مـا يجـدد حـزنه .. ففى ثلاثة أيام متعاقبة تسلمت أنجليك باقة جميلة من الزهور دست فيها بطاقة أرسين لوبين .. ولم يكن يستطيع أن يمضـى إلى ناديه إلا ويقول له أحد أصدقائه : إن مزحة اليوم عجيبة .

- ماذا ؟

- مزحة صهرك . آه .. ألم تعرف ؟ خذ واقرأ .

"سـيطلب أرسـين لوبـين من مـجلس الدولة إضـافة اسـم زوجتـه إلى اسمه لكى يكون أرسين لوبين دى سـارزو فندوم .

ويقرأ فى اليوم التالى" حيث أن شارل العـاشر قد أصدر مرسوماً منح به العـروس الشـابة لقب وشـعـار بوربون كـونديه ، وحـيث أنـهـا الوراثة الأخيرة لهذا اللقب فإن الأبن الأكبر للوبين دى سـارزو فـاندوم

وزوجته سيكون اسمه الأمير أرسين دى بوربون كونديه" .

وفى اليوم الثالث نشرت الصحف الإعلان التالى :

"يتشرف "المحل الكبير الخاص ببيع الملابس الداخلية ، بعرض جهاز الآنسة دى سارزو فاندوم بالحروف الأولى من أسمائها : ل . س . ف ، وذلك فى فترينته الرئيسية" .

ثم نشرت إحدى المجلات المصورة صورة للدوق وصهره وابنته وهم يجلسون حول أحد الموائد يلعبون الورق .

وأعلنت الصحف كذلك أن موعد الزفاف تحدد : ٤ مايو .

ونشرت بعض التفاصيل الخاصة بعقد الزواج ، وقالت أن لوبين سيقوم بعمل نبيل ، فسوف يوقع على عقد زواج وهو مغمض العينين دون أن يعرف مبلغ الدوطة .

كل ذلك جعل الرجل العجوز يخرج عن طوره ، واتخذ حقده على لوبين أبعاداً سقيمة .. ورغم صعوبة الأمر عليه فقد مضى إلى مدير البوليس ، ولكن هذا الأخير نصحه بالحذر إذ قال له :

- إننا اعتدنا على أساليب لوبين .. إنه يستخدم ضدك إحدى ألاعيب المحببة إليه .. إنه يحاول إثارتك فلا تقع فى الفخ .

سأله الدوق قلق : أية ألاعيب ؟

- إنه يحاول ترويعك لكى تقبل بالتهديد عمل ما لن تقبل القيام به عادة .

- ومع ذلك فلا أظن أن السيد أرسين لوبين يتعشم أن أقدم له يد ابنتى .

- كلا .. وإنما يتعشم أن تقدم على ماذا أقول .. حماقة .

- وما هو ؟

- تلك التى يريدك أن تقدم عليها بالذات .

- وبماذا تنصحنى إذن ياسيدى المدير ؟

- بأن تنتقل إلى الريف وأن تمكث هناك فترة فى هدوء ، وبعيداً عن الانفعالات .

لم يكن لهذا الحديث من نتيجة إلا تأجيج مخاوف الرجل العجوز .. وبدا له أن لوبين مخلوق مخيف ، يستخدم أساليب شيطانية ويستعين بأعوان فى كل أنحاء الدنيا ، وأن عليه أن يكون شديد الحرص .

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الحياة لاتطاق .

وازداد حقداً ، ولزم الصمت وأغلق بابه فى وجوه كل أصدقائه القدامى وحتى فى وجوه أبناء العمومة الثلاثة موسيه ودامبواز وكاورس فقد حنق كل منهم على الآخر بسبب منافستهم ، بعضهم البعض ، وراحوا يغدون على القصر متعاقبين كل أسبوع .

وطرد بدون سبب رئيس خدمه وسائقه ، ولكنه لم يجرؤ على استبدالهم مخافة أن يدخل فى بيته أعوان أرسين لوبين .. واضطر خادمه الخاص هياسنت .. وكان قد قضى فى خدمته أربعين سنة ويثق فيه لإخلاصه .. إلى الاضطلاع بأعمال رئيس الخدم والسائق .. وقالت أنجليك وهى تحاول أن تقنعه بالحجة .

- ولكننى لا أرى ما يمكن أن تخشاه حقاً يا أبى ، فلا أحد فى العالم يمكن أن يرغمنى على هذا الزواج غير المعقول .

- ليس هذا ما أخشاه .

- ما الذى تخشاه إذن ؟

- لا أدرى .. ربما اختطاف أو سطو أو شئ من العنف .. ومما لا شك فيه أننا محاطان بالجواسيس .

وفى أصيل ذات يوم تلقى صحيفة وقد أشير فيها إلى نبأ بالقلم الأحمر .

"سيتم توقيع العقد اليوم في قصر سارزو فندوم ، في حفل خاص لن يحضره غير بعض الأقرباء لتهنئة العروسين السعيدين .. وسيكون شاهدا الآنسة سارزو فندوم الأمير لاروشفوكو ليمور والكونت دى شارتر، أما شاهدا أرسين لوبين اللذان أراد أن يشرفاه فى هذه المناسبة فهما مدير البوليس ومدير سجن الصحة .

وكان هذا أكثر ما يمكن احتماله ، وبعد عشر دقائق أرسل الدوق خادمه هياسنت بثلاث رسائل .. وفى الساعة الثالثة ، وفى حضور أنجليك استقبل أبناء العمومة الثلاثة: بول دى موسيه، وهو رجل بدين سمح وشديد الشحوب ، وجال دامبواز، وهو رجل نحيف ، أحمر الوجه وخجول ، وانطوان دى كاورس ، وهذا الأخير قصير ونحيف ومعتل الصحة ، وجميعهم قد تقدم بهم السن ولايتميزون بأية ميزة .

وكان الاجتماع وجيزاً، إذ أن الدوق قد أعد خطة دفاعية أطلعهم عليها فى كلمات حاسمة فقد تقول : سنلجأ إلى أملاكنا فى بريتانى، وأننى أعتمد عليكم انتم الثلاثة فى أن تعاونونى فى ذلك، فأنت يادامبواز ستأتى بسيارتك لكى تنقلنا، وأنت يا موسيه ستأتى بسيارتك لكى تنقل فيها حقائبنا بمساعدة خادمى هياسنت .. أما أنت يا كاورس فسوف تمضى إلى محطة أورليان لكى تحجز لنا أماكن فى عربة النوم ، فى قطار الساعة العاشرة والدقيقة الأربعين .. هل هذا مفهوم ؟!

وانقضى بقية اليوم دون أى حادث .. ولكى يتكتم الدوق الأمر ويتجنب كل تطفل أمر هياسنت أن يعد حقيبتين .. وكان عليه أن يصحبه فى رحلته هو ووصيفه أنجليك .

وفى السـاعة التاسـعة كان الخدم قد أووا إلى مخادعهم .. وفى الساعة العاشرة إلا عشر دقائق ، سمع صوت سيارة فتح البواب لها باب الفناء ، وعرف من النافذة سيارة جاك دامبواز الصغيرة فقال لخادمه : إذهب وقل له إننا سنهبط حالاً ، وابنتى أنجليك .

وبعد عشر دقائق ، وإذ لم يعد هياسنت خرج من الغرفة .. ولكنه ما كاد يبلغ البسطة حتى هجم عليه رجلان مقنعان وكمماه وأوثقاه قبل أن يتمكن من إطلاق صيحة واحدة .. وقال له أحد الرجلين فى صوت خافت : الإنذار الأول ياسيدى الدوق .. إذا أصررت على مغادرة باريس ، وعدم الموافقة فسيكون الأمر أكثر خطورة .

وقال نفس الرجل يخاطب زميله : راقبه جيداً ريثما أهتم بالآنسة .

وفى هذه اللحظة كان رجلان آخران قد اهتما بأمر الوصيفة ، وكانت أنجليك قد كممت هى الأخرى وأغمى عليها وتمددت فوق الأرض .. ولكنها أفاقت على الفور عندما أدنى منها الرجل بعض الأملاح .. وعندما فتحت عينيها رأت شاباً منحنياً فوقها فى ثياب السهرة باسم الوجه شديد الوسامة وقال لها :

ـ ألتمس معذرتك يا آنسة .. كل هذه الأحداث عنيفة بعض الشئ .. وتصرفى قد يكون غير طبيعى ، ولكن الظروف ترغمنا أحياناً على إتيان أعمال لاتقرها ضمائرنا .. فمعذرة .

وأخذ يدها فى رفق كبير ووضع فى أصبعها دبلة كبيرة وهو يقول : ها قد أصبحنا مخطوبين .. لاتنسى أبداً ذلك الذى منحك هذه الدبلة .. إنه يرجوك ألا تهربى وأن تنتظرى فى باريس آيات إخلاصه وأن تثقى به .

قال كل ذلك بصوت هادئ ومهذب يشوبه الاحترام والأمر بحيث لم تجد القوة للمقاومة .. والتقت عيناهما فتمتم :

ـ يا لصفاء عينيك وبراءتهما .. إن المرء ليحلو له أن يعيش تحت نظرتهما .. أغمضيهما الآن .

وانصرف .. وتبعه أعوانه .. وانطلقت السيارة بهم .. وبقى الصمت مخيماً على قصر شارع دى فارين حتى اللحظة التى استردت أنجليك فيها كل وعيها وصاحت تنادى الخدم .

ووجدوا الدوق هياسنت والوصيفة والبواب وزوجته مشدودى الوثاق .. واختفت بعض التحف النفيسة ومحفظة الدوق وكل المجوهرات ودبابيس ربطة العنق والأزرار المرصعة بالجواهر .

وأخطر رجال البوليس على الفور ، وأثبتت التحقيق فى الصباح أن دامبواز ما كاد يخرج من بيته مساء أمس حتى طعنه سائقه الخاص وألقاه شبه ميت فى شارع مقفر .. أما موسيه وكاورس فقد تلقى كل منهما رسالة تليفونية تزعم أن الدوق قد غير خطته .

وفى الأسبوع التالى ، وبدون أن يحفل الدوق بتحقيق البوليس ، ومن غير أن يرد على استدعاء قاضى التحقيق ، وحتى بدون أن يهتم بالأنباء التى يبلغها لوبين للصحف عن محاولة هروبه من شارع دى فارين ، استقل هو وابنته وخادمه القطار خفية إلى مقاطعة فان ، وهبطوا ذات ليلة فى القصر الاقطاعى القديم الذى يشرف على شبه جزيرة سارزو .. ودبر على الفور ، بمساعدة بعض الفلاحين التابعين له وسائل المقاومة .. وأقبل موسيه فى اليوم الرابع وكاورس فى اليوم الخامس ودامبواز فى اليوم السابع ، ولم تكن جراحه من الخطورة كما كانوا يخشون .

وانتظر الدوق يومين قبل أن يذكر لمن حوله أن فراره قد نجح رغم لوبين .. أما الجزء الثانى من خطته فقد قام به فى حضور أبناء العم الثلاثة بأمر قاطع أملاه على أنجليك فقد قال لها : كلا هذه القصص

قد أضرت بى أبلغ الضرر.. وقد قاومت ذلك الرجل مقاومة أرهقتنى ، وأريد أن أفرغ من هذا الأمر .. ولهذا ليس هناك غير وسيلة واحدة يا أنجليك .. وهـى أن تخلينى من كل مسئولية بقبولك الزواج من أحد ابناء أعمامك .. يجب أن تكونى ، قبل شهر أما زوجة موسيه أو كاروس وأما دامبواز .. وذلك الحرية فى الاختيار ، فأسرعى .

راحت أنجليك تبكى طوال أربعة أيام ، وتتوسل إلى أبيها .. ولكن دون جدوى .. أحست بأنه أتخذ قراراً لن يرجع فيه ، وأنها يجب أن تخضع لإرادته فقالت : إننى أقبل من يقع عليه اختيارك أنت يا أبى ، فأنا لا أحب أحداً منهم ، ولايهمنى أن أشقى مع أى منهم .

وأراد الدوق أن يرغمها على اختيار واحد منهم .. ولكنها لم تخضع .. وإذ لم يجد معها ذلك ، ولأسباب مالية وقع اختياره على دامبواز .

وأعلن نبأ الزواج فى الكنيسة على الفور .

وضوعفت الرقابة حول القصر منذ ذلك الوقت ، خاصة وأن صمت لوبين ، والانقطاع المفاجئ لحملته فى الجرائد تسببت فى قلق الدوق وانزعاجه .. كان من الواضح أن العدو يعد العدة لضربة ما ، وأنه سيحاول الاعتراض على الزواج بإحدى مناوراته التى اشتهر بها .

ومع ذلك ، فلم يحدث شئ .. ولم يقع شئ فى صباح اليوم السابق للزواج .. وتم الزواج فى الكنيسة ، وانتهى كل شئ .

وتنفس الصعداء عندئذ .. ورغم حزن ابنته ، ورغم ارتباك صهره الذى لم يرق له الموقف تماماً راح يفرك يديه فى سعادة بادية ، كما لو أنه أحرز نصراً باهراً .. وقال يخاطب هياسنت .

ـ دعهم ينزلون الجسر وليدخل من يشاء ، فلم نعد نخشى شيئاً من ذلك الوغد .

وبعد تناول طعام الغداء وزع النبيذ على الفلاحين وشاركهم الشراب والغناء والرقص .

وفى نحو الساعة الثالثة عاد إلى صالونات الطابق الأرضى .

كانت لحظة القيلولة، ومضى إلى غرفة الحرس، فى آخر الصالون ، ولكنه لم يكد يتخطى عتبتها حتى توقف على الفور وصاح :

- ماذا تفعل هنا يا دامبواز ؟ .. هل هذه مزحة ؟

كان دامبواز واقفاً مرتدياً ثياب صياد : سروال وجاكيت قذرين ممزقين واسعين جداً عليه .

دهش الدوق ، ونظر طويلاً ، بعينين مذهولتين إلى ذلك الوجه الذى يعرفه جيداً ، والذى أيقظ فيه فى نفس الوقت ذكريات غامضة لماض بعيد جداً .

ثم مشى فجأة إلى إحدى النوافذ التى تطل على الساحة ونادى قائلاً : أنجليك !

أجابته وهى تتقدم إليه : ما الخبر يا أبى ؟

- أين زوجك ؟

قالت وهى تشير إلى دامبواز ، وكان يدخن سيجارة ويقرأ على مقربة : إنه هنا يا أبى .

تعثر الدوق ، وتهالك فوق أحد المقاعد وقد سرت رعشة من الرعب فى بدنه .. وتمتم : آه .. إننى أكاد أجن .

ولكن الرجل الذى يرتدى زى الصيادين انحنى أمامه وهو يقول : انظر إلى يا عمى .. إنك تعرفنى ، أليس كذلك ؟ أنا ابن أختك الذى كان يلهو هنا وهو صغير .. ذلك الذى كنت تدعوه جالك .. ألا تذكر ؟ .. انظر إلى هذه الندبة .

غمغم الدوق :

ـ نعم ، نعم ، إننى أعرفك .. أنت جاك ، ولكن الآخر ؟

هذا مستحيل .. أوضح .. إننى لا أفهم ..

وساد صمت ، أغلق الوافد الجديد أثناءه النافذة والباب الذى يصل بين الصالون المجاور ثم بدأ قصته قائلاً : أتتذكر يا خالى أننى كنت قد غادرت فرنسا منذ خمسة عشر عاماً ، بعد رفض أنجليك لى . وقد حدث منذ أربع سنوات ، أى إحدى عشرة سنة من منفاى الطوعى وإقامتى فى أقصى جنوب الجزائر أن تعرفت .. أثناء رحلة صيد أقامها أحد زعماء العرب ، بشخص أسرنى برقته ودماثة خلقه وإقدامه وسخريته .

أقام الكونت داندريزى ستة أسابيع فى ضيافتى .. وبعد أن رحل ، أخذنا نتراسل بانتظام ، ثم إننى كنت اقرأ اسمه أحياناً فى أخبار المجتمعات فى الجرائد .. وكان من المزمع أن يعود ، وأعددت عدتى لاستقباله .. وذات مساء منذ ثلاثة شهور بينما كنت أقوم بنزهة فوق جوادى ، إذا بالخادمين العربيين اللذين كانا يرافقانى قد هجما على عصبا عينى وكممانى واقتادانى فى سبع ليال وسبعة أيام عبر طرق مقفرة حتى الساحل حيث كان ينتظرهما خمسة رجال ، واركبونى يختاً بخارياً صغيراً رفع المرساة على الفور .. وكانوا يصنعون لى الطعام كل يوم .

ومن وقت لآخر ، كان اليخت يتوقف ليلاً ، وأسمع صوت القارب الذى يمضى نحو إحدى الموانى ثم يعود محملاً بالمؤن بلاريب .. ثم يبحر من جديد .. وكنت أصعد فى بعض الأحيان فوق مقعد وانظر من نافذة قمرتى إلى الشواطئ ، ولكنها كانت غير واضحة المعالم .

واستمر ذلك لأسابيع .. وفى صباح الأسبوع التاسع رأيت أن

الكوة التى بينى وبين القمرة المجاورة غير مغلقة ففتحتها .. لم يكن بها أحد فى ذلك الوقت ، استطعت بعد شئ من الجهد أن أحصل على مبرد للأظافر من فوق طاولة الزينة .

وتمكنت بعد أسبوعين ، وبعد صبر طويل أن أنشر أعمدة نافذتى ، وكان فى مقدورى أن أهرب منها ، ولكن رغم اننى سباح ماهر إلا إننى سرعان ما أتعب ، فكان لابدلى من إختيار لحظة لا يكون فيها اليخت بعيداً جداً عن الأرض .. وهذا ما حدث أول أمس بالذات ، فقد رأيت من نافذتى الشاطئ فى وضوح ، وعرفت فى المساء ، لدهشتى ، قصر سارزو بأبراجه .

اقترب اليخت من الشاطئ هذا الصباح بمسافة كافية رأيت أنها مناسبة ، فضلاً عن إننى كنت أستطيع السباحة خلف بعض الصخور بحيث لايرانى أحد .. ولكن لاحظت عندما هممت بالهرب أن الكوة التى بين القمرتين قد انفتحت وراحت تهتز وتتأرجح مع الهواء فواربتها من جديد بدافع الفضول .. وكان هناك دولاب قريب من يدى استطعت أن أفتحه وأمسكت يدى صدفة بحزمة من الورق .

كانت عبارة عن رسائل تضم التعليمات التى يجب أن يتبعها الأشقياء الذين حسبونى. وبعد ساعة ، عندما تسلقت النافذة وانزلقت فى الماء فى هدوء كنت قد عرفت كل شئ : أسباب اختطافى والوسائل المستخدمة والغرض منه والمؤامرة البشعة المدبرة منذ ثلاثة شهور ضد الدوق سارزو فندوم وابنته .. ولسوء الحظ كان الوقت قد فات، اضطررت إلى الاختفاء خلف بعض الصخور حتى لايرانى أحد من اليخت ، ولم أصل إلى الشاطئ إلا ظهر اليوم .. ولجأت إلى كوخ أحد الصيادين واستبدلت ثيابى المبتلة ببعض ثيابه وأتيت إلى هنا . وكانت الساعة الثالثة .. وعلمت عندئذ أن الزواج قد تم صباح اليوم بالذات .

لم ينطق الدوق بكلمة .. كان يصغى إلى الغريب وهو يحدق فيه بعينيه ، فى ذعر كان يتزايد وقال : تكلم .. أكمل قصتك ..

وعاد الغريب يقول :

- إليك القصة بسيطة .. أثناء إقامته لدى ، ومن بعض الاعترافات التى ذكرتها له احتفظ بأشياء كثيرة .. إننى ابن أختك أولاً ، وإنك تعرفنى معرفة وثيقة ثانياً فقد تركت سارزو وأنا صبى وإن علاقاتنا اقتصرت فيما بعد على إقامتى هنا بضعة أسابيع منذ خمسة عشر عاماً طلبت أثناءها يد ابنتك أنجليك .. ثم إننى قطعت بعد ذلك كل علاقة لى بالماضى ، ولم أعد أتلقى أية رسائل ، كان بينى وبين داندريزى شبه غريب، وقد بنى خطته على ثلاث نقاط ، أولها أنه رشا الخادمين العربيين اللذين يقومان بخدمتى لإبلاغه بمجرد مغادرتى الجزائر، ثم عاد إلى باريس منتحلاً اسمى ومظهرى الحقيقى، وتقدم إليك حيث دعوته كل أسبوعين، وعاش بأسمى .. ومنذ ثلاثة شهور عندما آن الأوان كما يقول فى رسائله ، بدأ الهجوم بسلسلة من المقالات فى الجرائد، وفى نفس الوقت خشى أن تكشف إحدى الجرائد الجزائرية الدور الذى يقوم به فى باريس بإسمى فحمل أعوانه على الانقضاض على واختطافى .

أرتجف الدوق وبدت أمام عينيه الحقيقة ، وقال بلهجة اليأس : إنه لوبين .. أليس كذلك ؟ .. وهو من تزوج إبنتى ؟

- نعم يا خالى .. زوجتها له ، هو الذى سرق اسم جاك دامبواز ، والذى سرق منك ابنتك أنجليك وهى الآن الزوجة الشرعية لأرسين لوبين ، وذلك طبقاً لأوامرك .. وهاهى رسالة منه تثبت ذلك ..

- ولكن لماذا اختارته هو دونا عن الآخرين ؟

- أنت الذى اخترته لها يا خالى .

ـ بالمصادفة .. لأنه كان أكثر ثراء الآخرين .

ـ كلا .. ليس بالمصادفة ، وإنما بسبب النصائح للخادم هياسنت .

ـ إنه شريك للرجل الذى يعتقد أنه دامبواز والذى وعده بأن يمنحه مائة ألف فرنك بعد ثمانية أيام من زواجه !

ـ آه .. يا للشقى .. إنه دبر كل شئ .. وتوقع كل شئ .

ـ توقع كل شئ يا خالى ، حتى حادث الاعتداء عليه كان مدبراً ، لكى يبعد الشكوك عنه ، ولكى يبدو كأنه أصيب من أجلك .

ـ ولكن ما غايته من كل ذلك .. لماذا كل هذه الفظائع .

ـ إن أنجليك تملك أحد عشر مليوناً يا خالى ، وموثق عقودك فى باريس يجب أن يسلم الأسهم الأسبوع القادم لدامبواز المزعوم الذى ما أن يتسلمها حتى يختفى .. ثم إنك سلمته صباح اليوم خصوصاً أسهماً قدرها خمسين ألف فرنك لحاملها سيسلمها فى الساعة التاسعة الليلة ، خارج القصر ، إلى أحد أعوانه بجوار شجرة البلوط الضخمة ليبيعها غداً صباحاً فى باريس .

نهض الدوق دى سارزو فندوم وقال :

ـ الساعة التاسعة الليلة ؟ سوف نرى .. سأخطر البوليس .. بل سأبلغ باريس

ـ نعم .. ولكن الخمسمائة ألف فرنك . ثم الفضيحة على الخصوص .. فكر فى الأمر ياخالى .. فكر فى ابنتك المتزوجة بذلك اللص .. كلا . لايجب أن تبلغ البوليس .. فى قلب الصحراء لم تكن تبلغ البوليس عن الوحوش الضارية بل كنا نستخدم البندقية .. لابد من قتل الوحش .

ـ وأنجليك ؟

ـ ستبقى كما هى .. زوجتى شرعاً .. زوجة دامبواز الحقيقى.. غدا

سأهجرها وأعود إلى الجزائر، وبعد شهرين تحصل على الطلاق .

أصغى الدوق ، شاحب الوجه ، جاحظ العينين ، متوتر الفكين ، وتمتم : هل أنت واثق أن أعوانه باليخت لن يبلغوه بهربك ؟

- ليس قبل الغد .. بحيث أنه سيسلك طريق خرائب الكنيسة القديمة فى الساعة التاسعة هذا المساء حتما لكى يمضى إلى شجرة البلوط الضخمة ، وسأكون أنا هناك .

• • •

فى الخامسة مساء كمن الدوق مع ابن أخته ، وانقضى الأصيل دون حادث ، وحرص الدوق أثناء تناول العشاء أن يبدو هادئاً .. وكان من وقت لآخر ، يتأمل صهره خلسة ، ويعجب للتشابه الغريب الذى بينه وبين دامبواز الحقيقى .. ولكن النظرة كانت تختلف مع ذلك . كانت أكثر حدة ومضاء فى لوبين وأكثر تألقاً .. وأخيراً ، اكتشف الدوق نقاطاً صغيرة لم تكن ملحوظة قبل ذلك وتثبت الخدعة .

ومضت أنجليك بصحبة زوجها إلى سكنها الذى تشغله فى الطابق الأرضى من البرج الملحق بالجناح الأيسر للقصر .. وقال لها زوجها على عتبته : سأتمشى قليلاً يا أنجليك .. هل ترضين أن تستقبلينى عندما أعود ؟

قالت : بالتأكيد .

غادرها ، وصعد إلى الطابق الأول وأغلق الباب بالمفتاح ، وفتح النافذة التى تطل على الخارج بهدوء وانحنى .. وعند أسفل البرج ، على بعد نحو أربعين متراً ، لمح شبحاً فأرسل صفيراً من بين شفتيه ، ورد عليه صفير خافت .

وعندئذ ، أخرج من أحد الدواليب حقيبة صغيرة من الجلد ،

محشوة بالأوراق والسندات ، لفها فى قطعة من القماش الأسود وربطها ، ثم جلس أمام المنضدة وكتب :

"يسرنى أنك تسلمت رسالتى ، لأننى أجد من الخطر أن أخرج من القصر بهذه الربطة المحتوية على السندات .. ستصل بدراجتك إلى باريس لكى تلحق بالقطار المنطلق إلى بروكسل ، وهناك سلم المستندات إلى "ز" لكى يبيعها على الفور .

حاشية : قل للرفاق ، عندما تمر بشجرة البلوط الضخمة اننى سأنضم إليهم قريباً ، فلدى تعليمات يجب أن أصدرها إليهم ، على أن كل شئ على مايرام ، ولايرتاب أحد فى شئ" .

وأرفق الرسالة بالربطة وأدلاها من النافذة بواسطة دوبارة ، وقال يحدث نفسه :

ـ حسناً .. قضى الأمر، وأنا الآن فى أمان .

وبقى بضع دقائق وهو يتمشى فى الغرفة ويبتسم لبعض اللوحات المعلقة لصق الحائط لبعض أفراد أسرة دى سارزو فندوم .

وصاحت انجليك فى إنزعاج :

ـ اسمع .. أرجوك .. قد يكون من الأفضل .

ولكنها لم تزد ، وعادت إلى مسكنها تاركة لزوجها بذلك الحادث الذى لابد قد أثاره : مسكينة أنجليك .. سينتهى كل شئ بالطلاق .

وفى الخارج ، كانت الليلة حالكة والسماء تحجبها الغيوم .. وأغلق الخدم نوافذ القصر ولم يعد هناك نور من النوافذ ، وطلب من الحارس عدم اغلاق الباب .

وكان الطريق المؤدى إلى الخرائب القديمة يحيط برابية ، ثم يمتد بعد ذلك بطول واد وعر من الشمال وبغابة كثيفة من اليسار ، وقال

يحدث نفسه :

ـ ياله من مكان رائع لعمل كمين .

توقف وقد اعتقد أنه سمع صوتاً ، ولكن لا .. لم يكن ذلك غير حفيف بعض الأغصان ، ومع ذلك فقد تدحرجت طوبة بطول المنحدر ، وراحت ترتد فوق الصخور .. ولكن الغريب أن ذلك لم يزعجه أو يقلقه .. واستأنف سيره ..

وبعدقليل رأى الكنيسة التى الطريق ، فأسرع الخطى .. وتوقف فجأة من جديد .. فقد أمسكت يد بيده .

ارتد، محاولا أن يتخلص منها ، ولكن شخصاً برز من بين مجموعة الأشجار ، وقال له صوت : اسكت .. لاتنطق بكلمة .

عرف صوت زوجته أنجليك فسألها : ما الخبر ؟

تمتمت بصوت خافت سمعه بالكاد : إنهما يترقبانك ، وهما هناك ، فى الخرائب مع البنادق .. صه .. إنهما لايتحركان .. لعلها لم يريانى .. فلتعد .

كانت تتكلم بلهجة آمرة بحيث لم يسعه إلا الامتثال دون أن يسألها مزيداً .. ولكنها قالت فجأة وقد استولى عليها الخوف :

ـ فلنجرى .. أنهما قادمان .. وأنا واثقة من ذلك .

جذبته بالقوة وهى لاتزال ممسكة بيده ، إلى طريق مختصر كانت تعرف تعرجاته ، دون تردد ، رغم الظلام والنباتات الشائكة .. وبلغا الجسر بسرعة .

وعندئذ تأبطت ذراعه ، وحياهما الحارس .. واجتازا الفناء الفسيح وولجا القصر ، واصطحبته حتى زاوية البرج حيث يجب أن يقيما معا وقالت : أدخل .

ـ فى مسكنك ؟

ـ نعم .

ـ وكانت هناك خادمتان تنتظران ، فصرفتهما حيث مضتا إلى غرفتيهما اللتين تقيمان فيهما فى الطابق الثالث .

وطرق باب الردهة ، وصاح صوت :

ـ أنجليك ، فقالت وهى تغالب انفعالها : أهذا أنت يا أبى ؟

ـ نعم .. هل زوجك معك ؟

ـ إننا عدنا من الخارج لتونا .

إننى بحاجة إلى أن أتحدث معه .. فليأت إلى غرفتى .

وأصاخت السمع ثم عادت إلى حيث يقف زوجها وقالت :

ـ أعتقد انه لم يبتعد .

فقال : فى هذه الحالة ، إذا كان يريد أن يحدثنى ..

أسرعت تقول وهى تقطع عليه الطريق : إن أبى ليس بمفرده .. معه ان اخته جان دامبواز .

ساد الصمت .. نظر إليها بدهشة ثم قال :

ـ آه .. هذا الفاضل دامبواز هنا ؟ انكشف الأمر إذن ، مالم .

قالت :

ـ إن أبى يعرف كل شئ .. سمعت عرضاً حديثاً بينهما منذ قليل .. قرأ ابن أخته بعض الرسائل .

قال : كيف هذا ؟ أصدقائى فى اليخت لم يحرقوا رسائلى ! وتركوا أسيرهم يفلت من بين أيديهم .. وإنه لأمر مضحك .. دامبواز ضد دامبواز .. أخشى ألا يعرفنى أحد !!

وتحول نحو طاولة الزينة ، وأخذ منشفة بللها ودعكها بالصابون ، ومسح بها وجهه ، وأزال الماكياج وغير تصفيفة شعره وقال :

ـ ما رأيك الآن ؟

بدا أمامها عندئذ كما رأته فى ليلة السطو بباريس .. وعاد يقول :

ـ ما رأيك الآن ؟ أشعر الآن براحة تامة لكى أتحدث مع صهرى .

قالت وهى تقف أمام الباب : أين تذهب ؟

ـ عجباً ! .. سأنضم إلى هذين السيدين .

ـ لن تمر .. ألا تخشى أن يقتلاك .

ـ يقتلانى ؟

ـ هذا هو مايريدان .. يريدان قتلك وإخفاء جثتك فى مكان ما .

قال :

ـ ليكن .. إنهما على حق من وجهة نظرهما .. ولكن إذا لم أذهب إليهما فسوف يأتيان ، ولن يعيقهما شئ .

قالت فى حزم : اتبعنى .

وأخذت المصباح ودخلت غرفتها، ودفعت الدولاب جانباً فتحرك على عجلات غير ظاهرة، وأزاحت ستاراً وقالت :

ـ هذا باب آخر لم يستخدم منذ مدة .. وأبى يعتقد أن مفتاحه مفقود ، ولكن ها هو .. فافتح .. ستجد سلماً محفوراً فى الجدران سيؤدى بك إلى باب آخر أسفل البرج .. وما عليك إلا أن ترفع المزلاج فتكون حراً .

دهش ، وأدرك فجأة سر سلوك أنجليك .. وأمام هذا الوجه الحزين والدميم والرقيق رقة متناهية ، وقف مضطرباً وقد استولى عليه

الخجل .. وغمره مزيج من الاحترام ومن الندم والرأفة ، وقال لها : لماذا تنفذينى ؟

ـ أنت زوجى .

احتج قائلاً : أبداً .. أبداً .. ، ولن يعترف القانون بهذا الزواج .

قالت : إن أبى لايريد فضيحة .

قال على الفور : فكرت فى كل هذا .. وهذا هو السبب فى أننى عملت على إحضار إبن خالك دامبواز على مقربة من هنا .. فإذا ما اختفيت ظهر هو فهو زوجك .. وقد تزوجك أمام الناس .

ـ أنت الذى تزوجته أمام الكنيسة .

سكت .. وفكر لحظة .. كل الأمور التافهة بالنسبة له والخطيرة جداً بالنسبة لها . وعاد يقول : هذا فظيع .. فظيع .. كان يجب أن أتوقع .

وفجأة ، خطرت بذهنه فكرة ، وصاح وهو يصفق بيديه :

ـ آه .. وجدتها .. إن علاقتى طيبة بالمسئولين بالفاتيكان ، والبابا يفعل ما أريد .. سأطلب مقابلته ، ولاشك فى أن قداسته سوف يتأثر بتوسلاتى .

كانت خطته مضحكة ساذجة فضحكت وقالت : أنا زوجتك أمام الله .

ورمته بنظرة لايشوبها احتقار ولاعداء ولاحتى غضب ..

وتقدم منها خطوة ، ونظر إليها نظرة عميقة فلم تخفض عينيها، وإنما اصطبغ وجهها . ولم ير فى حياته وجهاً أحدث فيه كل هذا التأثير، وبه مثل ذلك الاحتشام وذلك الاباء .. وقال لها كما قال فى اللية الأولى فى باريس : أوه . يا لصفاء عينيك وبراعتهما . وما أجملها

أطرقت برأسها وقالت : انصرف .. انصرف .

وأمام اضطرابها استبصر فجأة المشاعر الغامضة التى تحركها والتى تجهلها هى بالذات ، أفليس فى قلب تلك العانس التى يعرف خيالها الرومانسي وأحلامها المتعطشة ومطالعاتها المشبوبة شيئاً خاصاً فى تلك اللحظة وطبقاً للظروف الغريبة التى جمعت بينهما ما يجعلها ترى فيه بطلاً أشبه ببطل بايرون ، ذلك اللص الرومانتيكى ؟ فهو ، المغامر الشهير الذى تمجده الأسطورة والذى اشتهر بجرأته ، دخل ذات ليلة غرفتها ، ووضع فى أصبعها دبلة الزواج .. خطوبة رمزية ومتقدة كتلك التى قرأت عنها فى روايتى القرصان وهرنانى . وأحس بالرثاء لها وشعر بالحنان وأوشك أن يستسلم لطفرة من التأثر وصاح :

- فلنهرب .. فلنهرب .. أنت زوجتى .. قاسمينى أخطارى ومسراتى ومخاوفى .. إنها حياة عجيبة .. وتوبة .. ورائعة .

ولكن أنجليك رفعت عينيها إليه ، وكانا من النقاء والصفاء والاباء بحيث اصطبغ وجهه بدوره .

فلم تكن بالمرأة التى يقال لها مثل هذا الكلام وتمتم : سامحينى .. إننى اقترفت كثيراً من الآثام ، ولم يبق منها فى ذهنى غير مرارتها .. إننى وغد .. حطمت حياتك .

ولكنها قالت فى هدوء : كلا .. بل إنك على العكس هديتنى إلى طريقى الصحيح .

أوشك أن يسألها ، ولكنها فتحت الباب ، وأشارت له بيدها ، تريه الطريق .. ولم يعد هناك ما يمكن أن يقال بينهما فخرج دون أن ينطق بكلمة أخرى ، بعد أن انحنى انحناءة كبيرة أمامها .

• • •

بعد شهر أعلنت أنجليك دى سارزو فندوم ، أميرة بوربون كونديه

وزوجـة أرسـين لوبين الشـرعيـة الاحـتـجـاب ، ودخلت دير الراهـبات الدومينيكيات تحت اسم الأخت مارى أوجست .

وفى يوم الاحتفال برسمها راهبة تلقت الراهبة الأم مظروفاً ضخماً مختوماً ومعه رسالة هذا نصها : لفقراء الأخت مارى أوجست .

أما المظروف فكان يحتوى على خمسين ورقة من أوراق البنكنوت كل منها بفئة ألف فرنك .



أشهر القصص اللصوصية

مغامرات اللص الظريف أرسين لوبين صاحب الشخصية العجيبة والمغامرات الخارقة التى بهرت الملايين فى أنحاء العالم ،،

لغز القصر المهجور	اللص الظريف
عودة أرسين لوبين	سر عقد اللؤلؤ
غريم أرسين لوبين	إمرأة أرسين
السرقة العجيبة	الشبح القاتل
الجائزة الكبرى	ذو الوجهين

رقم الإيداع الدولى
977-267-241-6
كتاب رقم 2709

مكتبة معروف

الإسكندرية: ٩٥٤٥٥١٩/٤٨٤٦١١٢٥ / فاكس: ٤٨٦٠٠٨٩
القاهره: ٠٢٢٤٠٣٧٧٩٢ - ٠١٢٧٨٥٦٦١١٣
E-mail:maarouf2004@hotmail.com
www.maaroufbookshop.com
info@maaroufbookshop.com